

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس – مستغانم-

كلية الآداب والفنون

قسم الدراسات الأدبية والنقدية



مذكرة لنيل شهادة الماستر في الأدب العربي

تخصص أدب مقارن وعالمي

الأنا والآخر في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية " أنموذجا"

رواية " كتاب الأمير ...مسالك أبواب الحديد" واسيني الأعرج

من إعداد الطالبة:

* خراز عائـــــــشة

إشراف الأستاذ:

د: المكروم سعيد

السنة الجامعية: 2019/2018

إهداء

إلى نبراس الأهل.....أبي

إلى القلب النابض بالدفء والحنان......أمي

إلى رياحين العمر وسنابل الأمل........إخوتي و أخواتي

إلى الحديقة المزهرة الزاهرة .... عائلتي

إليهم جميعا هذا العمل المتواضع,

شكر وتقدير

أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الإمتنان لمن كان له الدور الأكبر في توجيهي وإرشادي إلى اختيار موضوع رسالتي الأستاذ الدكتور المكروم سعيد الذي لم يدخل علي بتوجيهاته القيمة ولم يتوان عن رفدي بفيض معرفته الواسعة ،إذ منحني الكثير من وقته وجهده، كما زودني ببعض المصادر والمراجع التي ساعدت على اكتمال هذه الدراسة.

كما أتقدم بالشكر والتقدير لكل من أمدني بمصدر أو مرجع أو ساعدني في الحصول عليه ما أغنى هذه المذكرة فجعلها تخرج بهذه الصورة التي خرج بها.

المدخل

الرواية العربية وإشكالية الأنا و الأخر:

إن الحديث عن الرواية العربة وإشكالية الأنا و الأخر يقتضي تعريف الرواية أولا فالرواية كما جاء في كتاب تحليل النص السردي هي جنس أدبي عربي الماهية والمنبت ظهرت في العصر الحديث ثم انتقلت إلى العرب عن طر يق الترجمة والتعريب بحيث تصبح نشأة الرواية العربية نتيجة للثقافة الأروبية.[1]

وهي اليوم تعد من أهم الإبداعات الأدبية التي شهدها العصر فحضيت بعناية خاصة فتراكمت حولها الأبحاث والدراسات كونها نوع قصصي مبتكر له مميزاته الأصلية في مستوى المواضيع وله سماته الخاصة في مستوى الأسالبيب و طرائق الأداة وهو ما يؤدي ضروبا من التصور متميزه للهوية والتاريخ والفرد[2]، أي أن الرواية نتاج دخيل غربي الأصل و المنبت والرؤية.

فهي تعبر عن واقع الإنسان وهواجسه و تطلعاته ,وتحوصل مرحلة هامة في حياة مجتمع ما ،لتكون بهذا ديوان الإنسانية عامة والعرب خاصة أما عن جيرار جونيت فيرى أن الرواية " عرض لحدث لسلسلة من الأحداث الواقعة ،واقعية أم خيالية بواسطة اللغة، يعني هذا أن الرواية تقوم بعرض مجموعة من الأحداث يمكن أن تكون حقيقة أو خيالية عن طريق اللغة ،والتي تمثل العمود الفقري الذي تقوم و تنهض عليه.

أما ميخائيل باختين."فيرى أن الرواية هي الوحدة المتصلة بالتاريخ في قوله. أن الرواية هي الجنس الوحيد الذي نشأ وتغذى بالعهد الحديث من التاريخ, وهذا إن دل عل على شيء إنما يدل على العلباقة الوطيدة ، أو الإرتباط الوثيق بين الرواية والتاريخ عما هو الحال في رواية "كتاب

[1]:صادق قسومة، نشأة الجنس الروائي بالمشرق العربي، مرجع سبق ذكره، ص9.
[2]:عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية ، منشورات إتحاد الكتاب الغرب، دمشق، سوريا.

الأمير مسالك أبواب الحديد" للروائي الجزائري العالمي واسيني الأعرج لتطون الرواية والتاريخ وجهين لعملة واحدة.

لا يمكن الفصل بينهما, لأنها ترتبط بمواقف خالدة لا يجوز أن تنسى أو تهمل ... ارتبطت بشخصيات كبيرة أو بمواقف تاريخية عظيمة الشأن[1],لأن الروائي يسقسي مادته الحكائية من التاريخ , ويعيد كتابتها وفق ما يبرز له مذهبه وإيديولوجيته ورِأيته وأفكاره, لتبدو الرواية منذ ظهورها, وبدايتها مقترنة بدور الزمن الحركي وفعل التاريخ الذي يملك تأثيرا كبيرا في حياة الفرد, أو الحياة الجماعية كما أن أهميته إزدادت مع بعض الأعمال الكتاب أو الروائيين لأنهم يعتمدونه مادة أساسية في رواياتهم, ورواية فيكتورهيقو"البؤساء" التي صدرت عام 1862خير مثال على استقاء الروائي مادته الحكائية أو الروائية من أحداث تاريخية, او من التاريخ و هذا أهم ما يميز الرواية عن سائر الأنواع القصصية, وازدادت أيضا أهمية حين ابتكر وابدع كتابها و روادها شخصيات لها علاقة وصلة بالواقع والتاريخ.

فهذا الجنس الأدبي أتيح له أن يواكب الإنسان في بعض حضاراته خلال حقب و فترات زمنية طويلة من التاريخ , تعبيرا عن أفكاره وهواجسه وعواطفه و ذائقته, وبالتالي هي أداة ووسيلة ارؤية الذات الأنا والأخر بلمسة فنية جمالية.

ومن البديهي أن الأنا تعني بها العرب او الشرق, بلدان العالم الثالث التخلف الضعف الخوف الفقر, أما الأخر فهو الغربي الشمالي المتفوق المتحضر, المتطور,القوي... .

وتعد هذه الأخيرة الأنا والأخر من أهم القضايا,أو المسائل التي تجسدت بشكل جلي وظهر في الروايات العربية الحديثة ,لأن الأنا (الذات العربية) تعود عبر الأزمنة على شراسة ووحشية, وهمجية الأخرالغربي(المستعمر) فحاولت أن تعطي لنل صورة حقيقية لشراسته ودناءته وعذره ونجاسته,وأن تجسد الصراع والصدام القائم بين الشرق والغرب منذ نشأة

[1].عبد الملك مرتاض، المرجع السابق ، ص63.

الكون فإحسان وشعور العربي بتفوق الغرب عليه في مجالات كافة هاجسا مريرا أحبط كل ما لديه كل محاولات تحسين موقف الأنا بإيزاء الآخر والتفكير بالتفوق عليه وبالتالي كان الإحساس بالهزيمة مريرا ولا سيما وهو يحاول إثبات وجوده.

ولعل أبرز الروايات العربية التي تعرضت إلى إشكالية الأنا العربي والآخر الغربي هي رواية الحي اللاتيني للروائي سهيل إدريس حيث حدد لنا بطله بوصفه بطلا شرقيا يحاول التحرر فينتج حينا و يخفف أحيانا أخرى[1] . فمعظم الشخصيات التي توظف من طرف الروائي هي شخصية تقصد باريس قصد الإنتقام من الغرب, ولعل أول وسيلة أو طريقة لفعل هذا هي المرأة الغربية أوالأوروبية المتحررة يميل حينا في ثنايا الرواية إلى الإنغلاق والخوف و حينا آخر إلى الإنفتاح والحب[2]. إذن البطل انتقل في روايته "سهيل" إلى "باريس" تاركا بيروت لأجل أنثى ,فهي القضية الأولى التي تشغله قبل العلم والحضارة[3], ليكون البطل العربي دائما مسافرا إلى الغرب ,أو الشمال بحثا عن الأنثى ,أو المرأة الأروبية المتحررة إذن "يقصدون الغرب...لإرواء ضمأهم العلمي والجنسي في آن واحد غير أن الجنس يوظف توظيفا رمزيا المقصود بها إبراز فحولة و ذكورة الشرق بالمقابل تنعيت الغرب بالأنوثة والخضوع تحت الرغبة الجنسية الكاسحة[4]

وكذلك في رواية "رافعة السلاح والقمر"لمبارك ربيع" و رواية"النار والإختيار" للروائثة المغربية "خناثة بنونة"

[1].جان نعوم طنوس,صورة الغرب في الأدب العربي المعاصر، دار المنهل اللبناني، مكتبة رأس النبغ بيروت، ط1، 2009، ص197.

[2]..المرجع نفسه ، ص198.

[3]. أمبن زاوي، صورة المثقف في الرواية المغاربية، دار النشر الرجعي، الجزائر، ط2 ، 2009، ص 474.

[4]باديس فوغالي، جدلية الشرق والغرب في الرواية العربية، مجلة الأدب والعلوم الإنسانية، العدد الثامن جوان2007، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة –الجزائر-،ص8.

حيث جسدت لنا الروايتين وعلى العربي وتحدياته للآخر الغربي انطلاقا من مؤثرات "ايديولوجية وسياسية وفكرية وتاريخية..."[1]

فالأنا و الآخر مسألة أو قضية أو إشكالية سردية تختلف و جهة نظر الروائي, قد يبرزها بصورة معقدة وشائكة وقد يظهرها بصورة واضحة خاصة, إذا اقتربت بالآخر وهوالعدو بحد ذاته لتصبح الأنا في موقع صدامي وصراعي على الدوام معه, حيث يصوغ الروائي العلاقة بينهما عن طريق المقابلة صورة الأنا والذات أوالنحن العربي وصورة الآخر الغربي المتحضر, المتقدم لتصبح هذه الثنائية أشبه بموضة العصر الحديث تشغل فكر كل روائي عربي, بل أصبحت قيمة مركزية في خطاب الروائي العربي.

وتدور كل الروايات في "أن كل فعل يقابله رد فعل(مستعمَر,مستعمر),(غرب, شرق)ثقافة متطورة,ثقافة تقليدية, تعليم تقليدي يقدمه الشيخ بزوايا, ويعود هذا الصراع والتناقض إلى تواجد حضارتين غربية متفوقة تريد فرض نفسها وشرقية مختلفة تدافع عن نفسها, أما نظرة الغربي الأخر إلى الأنا العربية المسلمة نجدها في كتابات عديدة غير لائقة و قاسية وتحط من قيمتها , فهي تصف العربي بالضعف والوحشية والمنهجية والتعصب دينيا, والبيدائي البسيط... وهذا ما جاء بهكتاب فولتير الذي أطلق أحكاما عدائية قاسية على الإسلام ولاسيما في كتابه محمد والتعصب.

لكن ليس من العجب أن ينعتا الآخر الغربي في كتاباته بهذه الصفات السلبية لأنها نظرة ذات البعد الواحد التي تتصور الآخر شيطانا، أو ملاكا بعيدا عن الموضوعية... فما من رؤية وحيدة الجانب و مسخت الغير وجعلته وهين الأهواء وحيس النرجسية.

ليبدو لي أن الرواية العربية منذ ظهورها إلى يومنا هذا جسدت ثنائية الأنا والآخر عبر مجموعة من الرؤى, والأنماط سواء كانت سلبية أم إيجابية(شرق, غرب).

[1].أحمد البيوري في الرواية العربية التكوين والأشتغال، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء،ط1،2000،ص103.

مقدمة

أصبح للرواية العربية عموما والجزائرية خصوصا مكانة رفيعة نظرا للموضوعات الجريئة والخطيرة التي أضحت تعالجها اليوم بما في ذلك الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية فحتى اللغة لم تشكل عائقا أمام هؤلاء الكتاب للتصدي لهذه التيمات.

فالرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية وعلى غرار الروايات العربية اهتمت بتجسيد صورة " الأنا والآخر" وعليه تأتي هذه الدراسة في رواية "كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد" للروائي واسيني الأعرج حيث وضح لنا انفتاح وانبهار الأنا الجزائرية على الآخر الفرنسي اي أنها رواية التسامح و التعايش فيما بينهم.

وقد وقع اختياري على هذا الموضوع وهذه الدراسة لأن الأنا العربية لا تزال إلى يومنا هذا تعاني الإضطهاد والقمع كما أنها رواية الهوية والإنتماء الجزائري كما أنها فرضت نفسها علي لأنها تجسد الحوار الحضاري تارة والصراع والصدام تارة أخرى بين الأنا والأخر.

ومن خلال هذا حاولت الإجابة عن بعض الإشكالات التي كانت محل جدال بين الدارسين وهي:

- هل لجأت الرواية العربية المكتوبة بالفرنسية إلى بناء جسور للتفاهم بين الأنا والآخر؟

- هل انطلق واسيني الأعرج من نظرة إقصائية ننزه الأنا ،ونحتقر كل من يختلف عنها ،أم العكس؟

وللإجابة عن هذه الأطروحات وغيرها ،اتبعت منهج التلقي والتأويل لأتمكن من قراءة المتن الروائي من وجهة نظري لأن هذا النص متعدد الدلالة ويحمل أكثر من قراءة .

وقد جاء بحثي هذا بعنوان الأنا والآخر في الرواية الجزائرية في رواية كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد لواسيني الأعرج" مرفقة له بخطة محكمة تمثلت فيمايلي:مدخل وفصلين أما المدخل فتناولت فيه الحديث عن الأنا والآخر في الرواية العربية يليه الفصل الأول الذي كان نظريا بحتا :تحت عنوان مفهوم الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية وقد تعرضت فيه إلى النشأة والتطور، إشكالية الأدب طبيعة المواضيع في الرواية الجزائرية

المكتوبة بالفرنسية وأهم رواد الرواية الجزائرية أما الفصل الثاني فيمثل الجانب التطبيقي في دراسة إشكالية الأنا والآخر فقد تناولت مواقف الأنا اتجاه الآخر الرؤية الحضارية الرؤية العدوانية و أدرج تحت عنوان الأنا والآخر ورحلة السرد وكذا الفني والإيديولوجي" تناولت فيه الأنا الأمير بين الإنفتاح والإنغلاق.

لأصل ألى خاتمة تبرز أهم ما توصلت إليه في بحثي من نتائج وقد اعتمدت على مجموعة من الكتب التي عالجت الموضوع أهمها صورة الغرب في الأدب العربي المعاصر "لجان نعوم طنوس"نحن والآخر"لمحمد راتب الحلاق" صورة الآخر في الشعر العربي "لسعد فهد الدويخ " العرب والحداثة "لعبد الإله بلقزيز" وصورة المثقف في الرواية المغاربية لأمين الزاوي...الخ.

كما واجهتني عدة صعوبات ككل باحث لعل أبرزها :ضخامة الرواية حيث تبلغ عدد صفحاتها 554 صفحة ،مما يصعب التطبيق عل كل أو جل المقاطع الروائية ،ومع هذا حاولت أن أعطي بحثي هذا حقه من الدراسة.

وفي الأخير لا يسعني إلا أن أتقدم بجزيل الشكر إلى أستاذي الفاضل "المكروم" الذي كان عونا وسندا لي طيلة هذا البحث ،كما أتقدم بجزيل الشكر إلى كل أستاذ لم يبخل علي بنصائحه وتوجيهاتها التي أسهمت كلها في تكوين هذا البحث.

المبحث الأول: مفهوم الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

أولا: النشأة والتطور

يعتبر الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية أدبا حديث النشأة, فقد اقترن ظهوره بحرب الإبادة التي عرفتها الجزائر خلال قرن وإثنين وثلاثين سنة تقريبا "والذي يؤرخ له الباحث الفرنسي "جان دي جو"1920 باعتباره تاريخ ظهور أول نص أدبي جزائري كتب باللغة الفرنسية"[1] لكن الشئ الذي العديد من التساؤلات هو التأخر الكبير لظهور هذا الأدب مقارنة بتاريخ الإحتلال, فهي فترة تقارب التسعين عاما فترة زمنية طويلة سادها الفراغ الأدبي.

دخلت فرنسا الجزائر بحجة تخليصها من مظاهر الجهل والتخلف ونشر قيم الحضارة والتطور, فأين غابت الحضارة؟ وما تفسير نسبة الأمية التي فاقت 90% ؟.

اتجهت فرنسا منذ دخولها إلى الجزائر سياسة عدائية صارمة محاولة بذلك طمس الهوية القوميةبمختلف الأشكال ,وقد ظهر ذلك جليا في غلق المساجد والزوايا و تصنيف الحصا ر على تعلم اللغة العربية مما رفع نسبة الجهل والأمية, تضاف إلى ذلك سياسة الإستعمار التي كانت التي كانت تصنع الأهالي من التعبيرعن أرائهم من مرافقها من التأزم على الصعيدين الإجتماعي والإقتصادي, كل هذه الأسباب حالت دون أي تلاحق فكري أو حضاري وبالتالي غياب النتاج الروائي الجزائري كل هذه المدة.

انتظر الجزائريون إلى غاية عشرينيات القرن العشرين وهو التاريخ الذي حمل بعض الحراك الأدبي حيث ظهرت رواية" أحمد بن مصطفى القومي" لمؤلفها "القايد بن شريف" كأول رواية جزائرية مكتوبة بالفرنسية و تليها رواية" زهراء زوجة المنجمي" zohra la femme du mineur لمؤلفها "عبد القادر حاج حمو" في 1925, و غيرها من الروايات التي يمكن أن تعتبر كتابها أولئك الذين كانو على اتصال بالفرنسيين , فلا نستغرب أنهم نظروا إلى مجتمعهم من وجهة النظر الاوروبية مقدمين بذلك اتجاها محليا

---

[1]:أحمد منور،الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، ديوان المطبوعات الجامعية 2007ص 87.

بالمعنى الأزدرائي للكلمة"[1] جاءت هذه الأعمال بعدما طرأ على االسياسة الإستعمارية من تغييرفي ظل التحضيرات الخاصة بمؤوية الاستعمار فكان من الطبيعي أن تكتب هذه الفئة باللغة الفرنسية باعتبارها خريجة المدرسة الفرنسية, ومن الطبيعي أيضا أن توجه أعمالها للفرنسيين بالجزائر آنذاك كانت غارقة في الأمية والمشاكل الحياتية لذا كانت كتاباتهم نتيجة منطقية للظروف التي عاشها الروائيون آنذاك, والذين كانو يمثلون تلك الفئة المحظوظة التي حاولت أن تندمج في المجتمع الفرنسي رغم أنها كانت تحس بالمنفى و هذا ما جعلت معظمهم لا يقدم على غرار المنفيين الحقيقين" ثقافته وقضيته كما هي فالواقع, وإنما كما يجب أن يراها الأخر الأوروبي وكما يوحي له خاصة ضمن مواصفات معينة"[2] فالأعمال التي كتبت في هذه الفترة كانت تعرض على دور النشر الفرنسي التي لا يمكن أن تنشر أعمالا تخالف السياسة الإستعمارية في الجزائر وهذا ما "يفسر لماذا لا تعتبر الفترة المبكرة الأولى ممثلة لبداية أدب جزائري حقيقي", حيث أن هذه الأعمال لم تنغمس فالواقع الإجتماعي الجزائري.

لقد ظلت الأعمال الممتدة من بداية العشرينات إلى نهاية الأربعينات لا تمثل بحق أدبا جزائريا أصيلا فهي كتابات لم تعكس قضايا و مشاكل المجتمع الجزائري, ولا عكس شعور الألم والقهر الذي كابده الجزائريين في تلك الفترة الصعبة و هذا راجع إلى أن هذه " الموجه من الكتاب متوجهة إلى الآخر تريد أن تشعره أولا بأن الأنتلجنسي الأدبية قادرة على الكتابة التي هي ظاهرة حضارية "[3] فهؤلاء الكتاب أرادوا من خلال كتابتهم أن يبرهنوا لفرنسا أنهم تلامذتها النجباء والأوفياء, والدليل على ذلك عدم تطرقهم لقضايا ومشاكل مجتمعهم" وحتى العمال التي ظهرت بعد ذلك سارت على نفس الدرب ولم يطرأ عليها أي تغيير كرواية العلج أسير البرابرة el euldg captif des barbaresques لشكري

[1]:عيادة أديب بامية ،تطور الأدب القصصي الجزائري، ترجمة محمد صقر ،ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ،1982،ص53.

[2]:عيادة أديب بامية ،المرجع السابق ص60

[3]:حنفاوي بعلي ،أثر الأدب الأمريكي في الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية ،دار الغرب للنشر والتوزيع ،وهران الجزائر ،2004 ص160.

خوجة1929 , بولنوار الفتى الجزائري " لرابح زناتي"1941" , ليلى الفتاة الجزائرية لجميلة دباش , والتي تطرقت إل قضية الزواج المختلط"[1]

بالنظر إلى هذه الإعتبارات يكون الدب الجزائري الأصيل الذي عايش معاناة الجزائريين فعبر عن همومهم وآلامهم وتضامن قلبا وقالبا مع الوطن قد بدأ مع فترة الخمسينات حسب الدراسات والأبحاث, فقد كانت مجازر 08 ماي 1945 منعطفا حاسما في تاريخ الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية لأنها أكدت وبصورة واضحة للجزائريين أهداف فرنسا, الأمر الذي أعطى دافعا قويا ومحفزا للإفاقة من الغيبوبة التي دامت أكثر من قرن فتنامى الحس الوطني لدى الكتاب وما لبثوا أن بدءوا في التعبير عن واقعهم و عن تنديدهم بالاوضاع التي آل إليها المجتمع الجزائري وبالضبط سنة 1950 حين نشر " المولود معمري" " الهضبة المنسية " والثانية لمحمد ديب " الدار الكبيرة" وتتابع بعدها صدور أعمال روائية أخرى لكاتب يسين, آسيا جبار, ملك حداد ..."[2] وبذلك كانت فترة الخمسينيات منعرجا حقيقيا في مسار الرواية المكتوبة بالفرنسية التي أصبحت أكثر نضجا ووعيا بالواقع المعاش وقد صرحت مولود معمري , مجيبا على تساؤلات حول سبب الغياب والتأخير " خلال الحرب العالمية الثانية أشياء كثيرة شاركنا فيها نحن الجزائرين فشعرنا على إثرها بتهيب وإبتهاج أن خروجنا,من المأزق ممكن ,فخرجنا من ذلك المأزق بالكتابة قبل أن نخرج منه في الواقع"[3] فالحرب العالمية الثانية هي الأخرى كانت عاملا أساسيا أكسب الجزائريين خبرة وعبرة تعلموا من خلالها أن المواجهة سواء بالسلاح أو القلم هي السبيل للخروج من هيمنة الإستعمار.

وقد استمرت الإبداعات الروائية للكتاب الجزائريون الذين كتبوا بالفرنسية طيلة فترة الإستعمار إلى غاية الإستقلال فأصبحت الرواية أعمق غوصا في حياة الطبقات الدنيا من المجتمع الجزائري بفعل غنتمائية الروائيين وحسهم الوطني فكلما اشتدت نيران الثورة وكلما زادت معاناة الشعب وألمه وحزن الطفل ويتمه زادت كتابات الأدباء جمالا و رقيا فقد اتسع ليأخذ أبعادا أكثر شمولية باعتباره الصوت الموجه لفرنسا وللعالم قاطبة.

[1]:ينظر ،أحمد منور ،الأدب الجزائري باللسان الفرنسي ،ص94-98

[2]:ينظر المرجع نفسه ص 102.

[3]:عيادة أديب بامية ،المرجع السابق ص 25.

ولم يقف الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية عند هذا الحد بل واصل تطوره عقب الإستقلال وكان امتدادا لما قبله بحيث عبرت روايات الستيناتنفي معضمها عن وقائع الثورة وذلك بتصوير عمليات المقاومة في "عالم الأطفال الجديد"لآسيا جبار" والتحدث عن الحياة الصعبة داخل المعتقلات والسجون في "أصابع النهار" "لحبيب بوزاهر" فهذه الأعمال قد انحازت للثورة وتغنت بما حققه العرب بعد جهد مرير.

لكن في مقابل هذا هناك من توقف عن الكتابة مثل"مالك حداد" والكثير منهم قل إنتاجه بعد الإستقلال وبعضهم الأخر بقي بنفس حماسه ونشاطه كما ظهر روائيون جدد باللغة الفرنسية على رأسهم "رشيد بوجدرة" و"ياسمينة خضرة" الذي ظهر مؤخرا.

"اتخذت الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية بعد منتصف الستينات توجها جديدا في ظل مرحلة جديدة عرفت بمرحلة التشييد والبناء غلبت على هذا الإتجاه النزعة الإنتقادية لسياسة البلاد إثر الفوضى العارمة بسبب الصراع على السلطة فنجد "رقصة الملك"" la dance de roi" "لمحمد ديب" و "المؤذن" "Muezzin" " لمراد بوريون"و"ضربة الشمس"" لرشيد بوجدرة"وغيرها من الكتابات التي اشتركت في نقدها اللاذع للجو البيوقراطي الذي ميز البلاد مع اختلاف الطرق الفنية لكل كاتب"[1]

ولقد استمر الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية يأخذ موضوعاته من الواقع فيرصدها مختلف التحولات التي تطرأعلى البلاد إلى يومنا هذا وتبقى الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية مكسبا هاما للأدب الجزائري رغم الإختلافات القائمة حول انتمائيتها وهويتها فهي تبقى أدب التحكم بالواقع الجزائري وبالشعب فعبر له وساهم سواء من قريب أومن بعيد في تحرير الوطنوإيصال القضية الجزائرية إلى الهيئات الدولية فتجاهل هذا الأدب إجحاف في دق حامليه الذين وإن تشبعوا بثقافة غربية إلا أنهم بقوا أوفياء للوطن الذي أنجبهم.

ولا يمكن أن ننهي حديثا عن النشأة وتطور هذا الأدب دون الإشارة إلى المجهودات المعتبرة التي قام بها صناع هذا الأدب والذين أصبحوا نموذجا للأدباء الذين أتوا من بعدهم.

[1]:ينظر ،واسيني الأعرج ،اتجاهات الرواية العربية في الجزائر ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائرية ،1986 ص76،

ثانيا:إشكالية الهوية في الأدب الجزائري

سنحاول من خلال هذا المبحث أن نناقش أهم مشكلة من المشكلات التي طالما ميزت الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية والرواية بصفة خاصة على اعتبار أنها أهم جنس أدبي اتخذه الجزائريون وسيلة للتعبير عن أرائهم وأحاسيسهم و يمكن أن تعتبر أساسا المشكلة متعلقة بانتمائية هذا الأدب هل هو أدب جزائري أم فرنسي؟

تضاربت الراء وكثر الجدل حول هوية الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية وبالأخص الرواية فالبعض اعتبرها أدبا فرنسيا والبعض اللآخر اعتبرها جزائريا مكتوبا بالفرنسية

إن مسألة اللغة التي كتب بها الأدب الجزائري هي التي أوهمت البعض أن هذا الأدب هو أدب فرنسي وهذا ما أوقع الخلط بين الروائيين" فاستعمال لغة مشتركة وهي الفرنسية لم يوجد وحدة وتماثلا بين الكتاب الجزائريين والكتاب الفرنسسين ولا يمكن هذا الإختلاف في الأساس أو الخلفية التعليمية التي تعتبر مماثلة غالبا بالنسبة لكلا الفئتين بل يرجع لعوامل جغرافية وإجتماعية وتاريخية تخضع لها كل منهما فالجزائريون هم الثمرة المباشرة لأرضهم(...) في حين أن الفئة الأخرى متعلقة بالأرض فقط "[1], ولذلك كان لزاما علينا أن نقصر عبارة" الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية" على ذلك الأدب الذي كتب من طرف أدباء الجزائريين يحمل في أعماقه هموم الأمة الجزائرية, أما ما تكتبه الفئة الأخرى فهو أدب فرنسي كتب في الجزائر يعبر عن العقلية الكونوليالية فلم يكن أدبا يعبر عن الطبقات الكادحة ولا معنيا بهموم وآلام ذلك الشعب المسكين لأنهم وبكل بساطة لم يذوقوا ما ذاقه الشعب الجزائري, ومن هذا الفرق يتمثل في الرؤية الكتاب الفرنسيين تختلف تماما عن رؤية الكتاب الجزائريين ذوي اللسان الفرنسي"[2].

ومن جهة أخرى نجد الجيل الأول من الروائيين الجزائريين الذين كتبوا بالفرنسية وناصروا فكرة الإدماج والتعايش مع المستعمر إنما كانت نتيجة حتمية لظروف تاريخية صعبة فقد عاشوا في ظل الإستعمار وتعلموا من مدارسه وكان اتقانهم للغة العربية شبه منعدم مما حرمهم فرصة الإطلاع على التراث العربي والإسلامي للجزائر" وهو الأمر

[1]:المرجع السابق ، عبادة أديب بامية ،ص53.

[2]:عبد الله ركيبي القصة الجزائرية القصيرة، دار الكتاب العربي ،الجزائر 2009، ص211.

الذي دفعهم إلى التغني بأفصال فرنسا المادية والمعنوية فالمثقف الجزائري على حد تعبير شكري خوجة متهم بالموالاة لفرنسا مادام قد استعمل اللغة الفرنسية فاللغة في نظره هي الجريمة التي تبقى مستعمليها متهمين في نظر مواطنيهم"[1].

لكن سرعان ما انقلبت الموازين وكشفت مخططات فرنسا التي كانت تهدف إلى إحتواء الجزائر ككل, فرنسا التي كانت متخفية وراء ستار إصلاح الشعوب وتطويرها إلا أن سيايتها في الجزائرهي التي فضحت المستور فبدأأدباء الجيل الأول.

لا يمكن أن تذكر حقيقة تأثر هؤلاء الكتاب بالأدب الكولونيالي وتشبعهم بهذه الثقافة وفي المقابل لا نستطيع تجاهل الأوضاع الإجتماعية المتردية في الجزائر ونسبة الأمية المرتفعة فإذا عدنا بالأدراج إلى مرحلة النشأة لهذا الأدب لوجدنا "أن مسألة اللغة المكتوبة لم تكن تهم كثيرا في مجتمع ترتفع فيه نسبة الأمية أكثر من 90% قبل عام 1960 وقد أحدثت هذه الظاهرة ما يسمى بالمأساة اللغوية للمستعمر"[2] فالأدب لم يكتب باللغة الفرنسية حبا في فرنسا أو تمجيدا لها وإنما لإعتبالاها الوسيلة الوحيدة التي توصل صوت الشعب إلى الرأي العام والسلاح الوحيد الذي بإمكانه الوقوف في وجه مخططات الإستعمار.

أن يكتب الجزائري بلغة أخرى وأي لغة استعمار ظالم حول بلاده إلى جحيم مسعر ليس بالأمر الهين, فقد صرح مالك حداد بكل مرارة و أسعد أنا أرطم ولا أتكلم إن في لغتي لكنه إني معقود اللسان أنا الذي أكتب باللغة الفرنسية... يجب أن تفهمني إذا ما كانت لغتي تثيرك , لقد أراد الإستعمار ذلك"[3] ، فالظروف إضطرت أمثال مالك حداد وغيرهم كثير إلى استمارة اللسان الفرنسي و فرنسا أدرى بذلك أكثر من غيرها , فقد أرادت فرنسا إجبار هاؤلاء على التخلي عن اللغة العربية عندما اكتشفت أنها نقطة الضعف عندهم وبعدها علمت ما تعنيه اللغة وما ترمز إليه لكن ما كتبه أدباءنا مكان ردا ذكيا على فرنسا وألاعيبها ,كتبوا أدبا باللغة الفرنسية صحيح لكن كتبوه بروح وطنية عالية بعدما أصبحت

[1]:محمود قاسم ،الأدب العربي المكتوب بالفرنسية الهيئة الممرية العامة للكتاب مصر 1996 ص 105.

[2]:سعاد محمد خيضر، الأدب الجزائري المعاصر ،المكتبة العصرية ،صيد ا بيروت ،1967، ص88

[3]:المرجع السابق،الأدب العربي المكتوب بالفرنسية ص 105.

تصور الواقع الجزائري بكل مظاهره و تكفينا في ذلك "ثلاثية ديب" التي كانت نبوءة صادقة على الثورة على الرغم من أنها كتبت بغير اللغة العربية.

"فالإستعمار الفرنسي تعامل مع اللغة العربية على أنها تراث و هكذا أوجد الأدباء أنفسهم أمام خيار وحيد هو الكتابة باللغة الفرنسية "[1]و هذا لا يعني عدم معرفتهم باللغة العربية بل إن ازدواجية اللغة قد شكلت هاجسا خطيرا عند البعض لذا لديهم إحساس العجز والنقص وعلى غرار"مالك حداد" نجد أيضا "كاتب ياسين" الذي شرح إحساسه من هذا الوضع فإن"موقف الكاتب الجزائري الذي يعبر بالفرنسية هو أنه بين خطين من النيران يجبرانه أن يبدع وأن يرتحل"[2]. فالأديب الجزائري لم يعد قادرا على إرضاء أي من الطرفين.

لكن هناك من أخذ قضية الإزدواجية على أنها نقطة إيجابية في صالح الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية فكانت مصدر قوته على عكس من أخذها بموقف الضعف معبرا أنه" عندما تندمج الروح الشرقية للجزائر مع الثقافة الفرنسية التي يستخدمها الكتاب الجزائيون تكون النتيجة أدبا أصيلا فالأدب الجزائري مع ماله من خصائص عربية عديدة تميزه يختلف عن الأقطار العربية حيث لم يكن للإستعمار تأثيرا مشابه على التعليم والثقافة " [3] فالأدب الجزائري امتاز عن غيره من الأداب العربية الأخرى بميزة منفردة تتمثل في الخصائص المركبة لهذا الأدب و الصادرة عن ظروف تاريخية لا مناص منها وهي انصهار العنصر المحلي والعربي و الفرنسي انصهارا لغويا و حضاريا أثمر في النهاية أدبا جزائريا قبل أن يكون فرنسيا.

ويبدوا واضحا "أن الواقع الثقافي وتطوره كان خاضعا للواقع السياسي الذي عاشته الجزائر ومن ثم فقد حمل هذا الأدب الجزائري على عاتقه كل تناقضات الحركة الوطنية ,الأمر الذي شعب اتجاهاته الفكرية والإديولوجية , وأدواته التعبيرية, بحيث استغلت اللغة الفرنسية إلى جانب اللغة العربية كسلاح وجهة كتاب مناضلون ألى صدر

[1]:حنفاوي بعلي ،أثر الأدب الأمريكي في الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية ص156.
[2]المرجع نفسه ،ص156.
[3]:المرجع نفسه ،ص158،

المستعمر , وهذه حالة ربما انفردت بها الجزائر عن غيرها من الأقطار العربية"[1] فالمسألة إذا ليست مسألة إعجاب أوإبهار بحضارة الغرب كما يتوهم الكثيرون وإنا القضية قضية ظروف تاريخية , كانت أكبر من مجرد الرغبة في الكتابة باللغة الفرنسية ,كما أن اللغة ليست ملك أحدهما يقول"مراد بوريون" أن اللغة الفرنسية ليست ملكا خاصا للفرنسيين , وليس سبيلها سبيل الملكية الخاصة ,بل أية لغة إنما تكون ملكا لمن يسيطر عليها وبطبوعها للخلق الأدبي أو يعبر بها عن حقيقة ذات القومية فلست اللغة هي الفاصل الوحيد في تحديد انتمائية أدب ما فمادام الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية أدبا يعبر عن هموم وطنية وقومية وإنسانية برؤية تقدمية بعيدة كل البعد عن روح كولونيالية يظل إذا هذا الأدب جزائريا وإن نطق باللغة الفرنسية أدبا بتمتع بروح جزائرية أصيلة.

[1]:محمد الطهار ،تاريخ الأدب الجزائري ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر 1970 ص 380.

المبحث الثاني: طبيعة المواضيع في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية وأهم روادها

أولا:طبيعة المواضيع في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية :

الرواية و قبل كل شيء هي عمل أنتجه شخص عاش تجارب معينة واكتسب من خلالها نظرة خاصة للحياة ولا تغدو هذه الرواية أن تكون ترجمة لهذه النظرة في قالب أدبي له خصائصه الفنية والجمالية, لهذا نجد أن المواضع التي تناولتها الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية كانت تعكس دائما ومنذ نشأتها إلى اليوم آمال وآلام أصحابها ,فإذا رجعنا إلى الأعمال الأولى التي ظهرت في بدايات الرواية الجزائرية المكتوبة لالفرنسية و بالضبط في السنوات العشرينات من القرن العشرين ,نجد أن موضوعاتنا كانت تتمحور حول فكرة أساسية وهي محاولة التعايش مع الأخر تبعا للسياسة السائدة آنذاك والتي تتمثل في سياسة الإدماج.

نظرا للصراع الحاد الذي كانت فرنسا سببا في نشوبه نادت هذه الفئة الأدباء بضرورة التعايش مع المستعمر باعتباره مصدر للحضارة والقوة التي ستخلصنا من واقع الجهل الذي نعيش فيه، هذه كانت أفكار، هؤلاء والتي تجسدت بوضوح في كتاباتهم الروائية رغم أن بعضهم لم يقتنع اقتناعا كليا بفكرة الإدماج ,إذ نجد "شكري خوجة" في رواية "العلج أسير البرابرة".

يصور لنا معاناة المثقف الجزائري المتشبع بالثقافة الفرنسية والذي يجد نفسه مهمشا من قبل المجتمع الفرنسي من جهة ومن جهة أخرى لا يلقي التجاوب مع أفكاره في المجتمعالجزائري الذي يطيقه والتخلف ".[1]

[1]: ينظر ،أم الخير جبور، الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية دراسة سوسيو النقدية ، الملحق ص45

فهو يشعر أنه يقف على الهامش لكن هذا الموقف لا يشمل كل الفئة الداعية إلى الإدماج ,فما هو"محمد ولد الشيخ" يصرح للعيان أنه "قد أصبح واضحا أن البلاد استرجعت السلم والعيشة الهنية تحت حمى الحكم الفرنسي فلا وجود لمواطن عربي يقصد الجزائر لا يشعر تجاه الوطن الأم بالعرفان للجميل السخي وخاصة بعد إخراجه من الظلمات إلى النور"[1] فهو يعتبر فرنسا بلده الأم التي خلصته من ظلمات الجهل في الجزائر.

تضاف إلى هذه المواضع السائدة في بدايات الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية قضية الزواج المختلط التي طرحت بكثرة في تلك الفترة والمراد منها إسعاد فرنسا وإرضائها ومن تلك الأعمال نجد"مريم بن النخيل" التي اعتبرت "أكثر النماذج الروائية المطابقة للأطروحات الإديولوجيةالإستعمارية بسبب نهجها المؤيد لسياسية التوسع الإستعمارية وأكثرها تبشيرا بفكرة الإندماج عن طريق الزواج المختلط الذي قدمه " محمد ولد الشيخ" كوصفة سحرية لكل مشكلة اختلاف الأعراف"[2]

بنهاية الحرب العالمية الثانية وبعد مجازر الثامن ماي1945 تغير مجرى الرواية الجزائرية الرهيبة التي ارتكبتها في دق الشعب الجزائري والتي راح ضحيتها خمس وأربعون ألف شهيد هذه الأحداث أعطت دفعا قويا للكاتب الذي راح يؤجج نيران الثورة ويحك الشعب نحوها.

تطورت الموضوعات الروائية بتطور الأوضاع وكانت مرحلة الأربعينيات فترة خامسة "قد ولدت الحرب العالمية في الجزائر حياة أكثر ثراء وانفتاحا وتنوعا وقد جاء ذلك من صدمة الحرب وبداية الإتصال بثقافات الأخرى.

وصاحب تلك التطورات في القوالب الفنية والتعبيرية جسدها روائيو سنوات الخمسينات قد تناولت بإسهاب المشاكل الإجتماعية التي كان من أبرز مظاهرها آنذاك الفقر, وقد جسد ذلك محمد ديب في ثلاثينتهالشهيره "الدار الكبيره" " الحريق" "النول" فهي روايته الأولى يصور لنا الحالة التي يعيشها "عمر" وكان يظطر لتحصيل لقمة العيش لإخوته وذلك بعمله

[1]:ينظر أحمد منور، المرجع السابقص214
[2]:محمد قاسم ، ص104

في مصنع النسيج وهذا في رواية "النول" وكأن ديب كان يصعد الأحداث تدريجيا بتفاهم الأوضاع وتدهورها, وفي "الحريق" جسد لنا وضعية العمال الكادحين والفلاحين ,فاستطاع ديب "أن يكون لوحة مزدوجة بألوان الثورة والتمرد ,إنها لوحة اديب ثوري مبدع استحق أن يكون بلزاك الجزائر دون منازع"[1]. ولم يكن محمد ديب وحده من تناول موضوع الفقر في كتاباته بل نجد أيضا ملود معمري و ملود فرعون اللذان تناولا هذه القضية كل واحد من زاويته, فملود فرعون من خلال روايته "الدروب الدروب الوعرة" ضرب عصفولاين بحجر واحد فقط صور الحالة الإجتماعية المزرية الصادرة عن الفقر في إحدى القرى اتلقباءل عن طريق شخصية البطكل**عامر**هذا من جهة ومن جهة أخرى تناول ظاهرة أخر وهي الهجرة نحو فرنسا هروبا من الواقع المتعفن وبحثا عن الرزق ،وذلك على غرار أعماله الأخرى "إبنفقير"،"الأرض والدم" والتي عالجت على العموم الموضوع نفسه.

نستطيع القول أن كلا من "محمد ديب " و"ملود فرعون" اتكأ في سرد الأحداث على خلفية الحالة الإجتماعية التي يعيشها كل منهما وبالتالي استطاعا تصوير الواقع تصويرا مباشرا خلافا للروائي "ملود معمري" الذي كان ميسور الحال ،ومنه فقد "استطاع أن يصور الواقع متن وراء ضلال الرومنسية التي لطفت فضاضة الحياة الواقعية وقسوتها، وذلك دون أن يشوه الوقائع الحقيقية"[2]، فقد استطاع "معمري" رفقة معاصريه وبفضل مجهوداتهم من الإلتزام بطموحات الشعب الجزائري وعدم الخروج عن إطارها يوما.

إضافة إلى موضوع الفقر ،فإن موضوع القضية الوطنية شغل الحيز الأهم عند الكاتب أمثال" كاتب ياسين" في روايته"نجمة" تلك الفتاة التي أحبها ياسين وقد كانت إبنة عمه ،كانت "نجمة" تلك الفتاة التي أحبها ياسين وقد كانت إبنة عمه ،كانت "نجمة" ترمز إلى "الجزائر" الذي يرسم نجمة في السماء ولا يحق أن يموت رغم كل شيء عن الجزائر، وأن أعطي عنها صورة ،فبرز ذلك في صورة المرأة" [3]وهذا ما يفسر الجانب الأسطورية في الشخصية "نجمة" التي تتداخل فيها صورة "نجمة" و"نجمة" الوطن فتكتسي صوره خيالية

[1]: واسيني الأعرج المرجع السابق ص 73
[2]: نقلا عن أحمج منور ،المرجع السابق ص 138.
[3]: عبادة أديب بامية ،المرجع السابق ص 93

عربية ،وهذا ما يفسر الفترة الطويلة التي استغرقها "كاتب ياسين" في كتابة الرواية والتي دامت تسع سنوات بحيث لم تكن كتابة نجمة سهلة أبدا ،أرقتني طويلا قبل أن تصبح أثرا ناجزا، كانت امام اختبار صعب كيف أضع الجزائر في كتاب ،الجزائر قوية والحية ،الجزائر التي كان الأخرون لا يعرفون عنها شيئا سوى سفك الدماء شبابها ،كان علي أن أقنع الفرنسيين بأن الجزائر نجمة كما يتوهمون"[1]، فرواية نجمة هي قصة الجزائر والجزائريين وهي الأسطورة التي كتبت بواقعية سليمة اللسان التي تجرح وتدمي كل مظاهر الإحتلال.

في حين أسرت آسيا جبار أن تناقش في أعمالها الروائية موضوع حرية المرأة مبتعدة بذلك عما يدور في حرب التحرير "وقد تجسدت هذه الرؤية الخاصة في روايتها "القلقون" والتي ضمت فكرتين أساسيتين هما التحرر والحرية من خلال الشخصية الرئيسية "دليلة" التي سئمت من قيود عائلتها المحافظة فلحقت بحبيبها بفرنسا فبحثت عن الحرية التي افتقدتها في وسط مجتمع خنقها بقيود العادات والتقاليد"[2] ،فآسيا جبار أرادت من خلال هاته الرواية ورواية "العطش" أن تأخذ بيد المرأة الجزائرية إلى التحرر على الطريقةالروبية.

أما عن مواضيع ما بعد الإستقلال فقد اختلفت هي الأخرى وتشعبت ،فتارة تكون عبارة عن عودة إلى سنوات الحرب التحريرية وإعادة النظر في جميع الحقائق ،ويمكن أن نستشهد بالروائي "مولود معمري" في هذا الخصوص من خلال روايته "الأفيون والعصا" "متحدثا عن السياسة الفرنسية المعتمدة على عنصري "الترغيب والتهريب" كما يدل على ذلك لفظي " الأفيون والعصا" [3]،فهذه الكتابات كانت امتدادا لأعمال الخمسينات التي سبقتها وقد تناول هذه المواضيع العديد من الروائيين الأخرين وتارة أخرى تطون المواضيع ترجمة للأوضاع السياسية والإجتماعية السائدة في فترة ما بعد الإستقلال ومن أهم المشاكل التي برزت إلى السطح في الفترة المذكورة هي صعوبة اختيار عقيدة سياسية.

[1]:كاتب ياسين نجمة تجربة لا أستطيع تكرارها " ـ مجلة الوطن العربي
[2]: ينظر آسيا جبار ،القلقون، منذر الجابري منشورات دار الإتحاد ، بيروت لبنان س 194
[3]:عيادة أديب بامية ، مرجع سابق ص 93

وإذا كانت الثورة التحريرية قد قامت من أجل تحسين الظروف وفرض صوت الشعب بإعطائة الحرية في اختيار من يحكمه و أيضا بداية حياة جديدة تكون على الأقل على قدر التضحيات التي قدمها الشعب الجزائري خلال الثورة فإن واقع الإستقلال والمشاكل التي رافقته خلقت عند الروائيين كما عند الشعب خيبة أمل كبيرة ،ويمكن أن نلخص هذه الحالة عند الروائيين من خلال ثلاث أعمال كانت تمثل بصدق تلك الخيبة " فبينما يرسم "ديب" صورة لشعب عاجز متقزز خابت آماله ،يقدم "بوربون" مجاهدا جزائريا من نوع جديد ،مجاهد تطوع لتخليص بلده من نير السلطة في الجزائر المستقلة ،لوضع حد لاستغلال الشعب واستبداد الحكام ,وذلك بواسطة ثورة أخرى ،بما أن الثورة السابقة قد فشلت ، أما رشيد بوجدرةفيظهرالجانباللأخر من الأوضاع من خلال ضحية من ضحايا الحرب تريل عيادة نفسية أنقذه مرضه من سياسة القمع التي كانت تتبعها السلطة الحاكمة " وهذه الأعمال تمثلت في "رقصة الملك " " المؤذن" "التطبيق " على التوالي لكن هذا الإهتمام الذي لطالما وجه نحو الثورة أو نحو مخلفاتها ،ورغم أنه بقي يشيع أحيانا في الأعمال الروائية مثلما نجده في رواية "طمبيز" "لرشيد ميموني" التي تبدأ قصتها خلال فترة الإحتلال ، وتستمر في شكل تصاعدي إلى أيام الإستقلال إلا أن هذه الموضوعات قلت نوعا ما" أمام صعود الموضوعات المرتبطة بجزائر اليوم {الشباب ،المرأة ،الزواج} "[1]،وهذا ما نجده عند الأجيال الشابة التي اتخذت لها مواضيع " عنصرية" في حين لم يتابع الكتابة الرواية العديد من الروائيين أمثال مالك حداد.

لقد شكل هذا الجيل الشبابي الجديد تغييرا دقيقا بفعل ما أظهره من مواكبة للتطورات بكل مقوماتها الراهنة ،وقد نالت هذه التشكيلية الجديدة شهرة واسعة وكان الروائيون الناطقون باللغة الفرنسية قد احتلوا مكانة هامة إن لم نقل أنهم كانو الأكثر إسهاما والأكثر شهرة أيضا لأن اللغة الفرنسية التي يكتبون بها أتاحت لهم فرصة أن يخرج خطابهم الروائي من المحلية إلى العالمية ، وقد خالفت هذه الفئة من الروائيين باللسان الفرنسي كل الإدعاءات التي تنبأت بالموت التدريجي لهذا الأدب على إعتبار أن مبررات استمرار قد زالت ، خاصة في ظل

[1]:أمين الزاوي ، رسالة ماجستر نوقشت بكلية الأدب ،جامعة دمشق ، 1948 ص421

التناقض الملحوظ الذي شهدته مرحلة التشييد والبناء في عدد الروائيين الذين يكتبون بالفرنسية مقارنة بمن يكتبون باللغة العربية.

حملت هذه المرحلة الشبابية العديد من الأعمال الإبداعية ،تمثلت في رواية " الباحثون عن العظام" "الطاهر جاووت" وروايات "أمينة" ،"حورية" " الياسمينة" " خضرة" ،بالإضافه إلى أعمال واسيني الأعرج ، أمين زاوي وبوعلام ضمال ... ،وشكلت أعمال هؤلاء تمييزا ملحوظا رغم عودة بعضهم إلى الموضوعات القديمة لكن بطرق مختلفة في معالجة ،فرواية "الباحثون عن العظام" عادت إلى موضوع الحرب من خلال نقل خيبة أمل الإستقلال وضياع الحلم في المستقبل أفضل ما جعلهم يبحثون عن عظام الشهداء لإعادة دفنها إشاره إلى الرغبة في استرداد مجد الشهداء الذي ضاع وسط أحداث ما بعد الإستقلال ،التي كانت صدمة عنيفة لكل الأوفياء للثورة.

أما عن أعمال التسعينات فقد شهدت أوضاعا صعبة على كل المستويات في ظل تزايد خطر الإرهاب الهمجي مما جعلتها فترة جدب أدبي بسبب عوامل العنف والخوف والهجرة ،فالكثير منهم أجبر على الصمت تحت وطأة التهديد ومنهم من خسر حياته مقابل جرأته.

لكن المرحلة التي لت العشرية الحمراءعرفت انفجارا منطقيا "لتراكمات واختناقات شكلت الأسباب التاريخية التي أدت إلى حدوثها"[1] فزيادة على موضوع الإرهاب تناول روائيون هذه المرحلة مواضيع أخرى" فياسمينة خضرة الذي يعد أشهر الروائيون الشباب كتب في مواضيع عالمية رواية "الإعتداء" التي عالج فيها الصراع الفلسطيني العربي ،كما عالج قضية أفعنستان في روايته "سنونواتكابول"وتحدث عن الإحتلال الأمريكي للعراق وغيرها من المواضيع التي كانت تمثل سبب الفرقة بين الشرق والغرب ،أما بوعلام صنصال فقد اهتم غالبا بمعالجة القضايا السياسية من خلال نقده للسلطة"[2].

أما أمين زاوي فقد غنطلق في موضوعاته من الحالة الراهنة للجزائر محاولا كسر القيود الإجتماعية والأخلاقية والدينية التي يفرضها المجتمع الجزائري وكانت "يصحو الحرير

---

[1]: أمي الزاوي /مرجع سابق ، ص 422

[2]:محمد الأمين ، بنية الخطاب المأساوي في رواية التسعينات الجزائرية ، رسالة الدكتوراه ، جامعة باتنة السنة الجامعية 2008 -2009 ص 64

"نموذجا عن كتاباته التي تصور قصة حب نشات في ظل الأوضاع المتعفنة التي سيطر عليها الإرهاب .

اكتسبت الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية الساحة الأدبية فارضة وجودها بعد كل الصعوبات التي واجهتها من تشكيك في هويتها إلى التقليل من دورها ،لكن بعدها تتبعنا مسيرتها منذ النشاة وإلى غاية يومنا هذا تبين الدور الجليل الذي قامت به الرواية الجزائرية وإن كتبت بالفرنسية إذ لا يمكن التشكيك في فاعليتها سواء أثناء الثورة بنقل قضيةالأمة إلى العالم كافة أو بجهودها المتواصلة لبناء المستقبل افضل بعد الإستقلال وإلى يومنا هذا. فالرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية كانت ولا زالت المرآت العاكسة لهذا المجتمع، فقد أضافت الكثير للأدب الجزائري بل وأكثر من الرواية المكتوبة بالعربية بشهادة المجتمع.

ثانيا:أبرز كتاب الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية[1]

[1]:ينظر أم الخير جبور الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية دراسة سوسيو النقدية ، الملحق ص 444 - 445.

مولود معمري	ولد 18 ديسمبر1917 بتوريت ميمون بالقبائل الكبرى. 26 فيفري 1989 توفي بعد حادث سير بعين الدفلى	1952 نشر روايتة الأولى الهضبة المنسية 1955 سبات العادل 1965 الأفيون والعصا 1982 الجولة
مولود فرعون	ولد 18 مارس1913 بنيزي هبيل Tizihibel بالقبائل العليا 15 مارس 1962 قتل من قبل l osz	1939بدأ برواية أبن الفقير ولم تنشرإلا سنة 1950 على حسابه الخاص 1954 نشر روايته الفقير من قبل le seuil 1957 نشرت le seuil الدروب الوعرة 1962 نشرت le seuil يومياته التي كتبها بين 1955 و 1960
محمد ديب	ولد بتلمسان في 21 جويلية 1920 وسط عائلة متواضعة توفي سنة 2003	1946 نشر أول قصائدةقي مجلة الأداب les lettre التي تصدر بجنيف تحت إسم مستعار{ديابي} 1952صدرت روايته الأولى الدار الكبيرة édleseuil 1954 الحريق 1957 النول

		1962 من يتذكر البحر 1968 رقصة الملك 1970 الرب في بلاد البربر
كاتب ياسين	ولد يوم 7 اوت 1929 بقسنطينة من عائلة شاوية بربرية توفي 28 أكتوبر 1989	1946 ينشر قصائده الأولى 1956نشرتنجمة édlesuil paris 1966نشر النجمة المصلعة polygone etoiléedleseuil paris
مالك حداد	ولد بقسنطينة يوم 5 جويلية 1927 توفي في 2 جوان 1978 بعد مرض عضال	1958 الإنطباع الأخير 1959 ساهيك عزالة 1960 التلميذ و الدرس 1961 رصيد الأزهار لا يجيب
آسيا جبار	الإسم الحقيقي " إمليان فاطمة الزهراء" توفيت سنة 6 فبراير 2015	1957 la soif édjulliard العطش 1958 les impalients éd julliard القلقون 1962 les enfant du noveaumoncle éd julliard أطفال العالم الجديد 1967 les Alouttnaives éd

juillardالقنابل الساذجة l amour la 1985 tantsia éd i clattes الحب والفنتازيا 1987 Ombresultaneed i clattesالظل المركي laide uédine éd 1991 alainuichel بعيدا عن المدينة la disparition 2003 de langue francaise éd albinmichel زوال اللغة الفرنسية.		

الفصل الثاني

المبحث الأول: موقف الأنا إتجاه الآخر

إن العلاقة بين الأنا العربي والآخر العربي على مر العصور والأزمنة لم تنقطع يوما بل كانت مستمرة ،فمنذ نشأة الكون والإنسان العربي ينتقل ويرتحل بحثا عما يسده له حاجياته ،ليبدأ في التواصل والتعامل مع غيرة من الأمم والشعوب الأخرى ليكون "اتصال الشرق العربي بالغرب الأروبي عبر ضفي المتوسط واتخذ أشكالا متعدة منها ما هو تجاري ومنها ما هو سياسي وعسكري ومنها ما هو إنساني"[1] أي أن العربي يحتك بما جاوره من الأمم الأخرى إما عن طريق الحروب أو التجارة أو المعاهدات والمواثيق ومن خلال هذا الإحتكاك والتواصل يكون العربي رؤى متخلفة ومتعددة ومتباينة عن الآخر الغربي ولقد جسدت في متون روائية كثيرة.

- **الرؤية الإنبهارية موقف الإعجاب:**

ونقصد بها نظرة القائمة على الإعجاب والإندهاش والإنبهار بالآخر العربي وهذا لما وصل إليه من تفوق ولإزدهار ورقي وتقدم.

فأصبح هذه الرؤية أن الغرب بما حققه من ازدهار وتقدم في مختلف مجالات الحياة وعلى كافو الأصعدة السياسية الإقتصادية والعلمية والعسكرية والثقافية والحضارية فهو جدير أن ننبهر ونعجب به، بل ويستحق الإحترام والتقدير أيضا فغالبا ما تكون هذه الرؤية في البداية فطرية ساذجة أونظرة واعية نسبيا ما بالفوارق الموجودة بين الشرق والغرب بين المكان الأصل ومكان الغواية وافتتان"[2]

فالعربي إذن يدرك ويعي الإختلاف والتباين الكبير بينه وبين الغربي فالعربي ذو عقلية متخلفة بسيطة بدائية نشأ محافظة وتقليدية أما الغربي فهو ذو عقلية متقدمة متحررة وقوة

---

[1]:إيمان الصالح ، جدلية العلاقة بين الشرق والغرب وهاجس الخوف المتبادل مقال في الأنترنت ضمن موقع http//www .puplct.alwatam.com 12:18 ، 2015-01-17م

[2]:جميل حمداوي ،صور جدلية الأنا والآخر في الخطاب الروائي http//www.elana.elakhare.com ،2015-01- 01 ، 12:30.

جبارة عظيمة فتنتج عن هذه المقارنة نظرة إحتقار وتدني للأنا ،ونظرة تفوق وازدهار ورقي إلى الآخر وقد وصل هذا الإعجاب بأصحابه إلى تعطيل المقاومة وفعاليات الوعي"[1].

والسبب يعود إلى أنت معظم المفكرين الشرقيين الذين اعتمدوا السياسة الإنتقائية لم يهملوا الأسباب الموضوعية ، وهذا ليتمكنوا من الوصول إلى أسباب القوة عند الآخر والضعف والتدني عند الأنا لتستنتجوا في النهاية إلى أن هناك منطلقات يفتقدها الشرقي في حين يمتلكها الغربي.

زمن الروايات التي جسدت هذه الرؤية رواية "رفاعه الطهطاوي تلخظ الإبرليز في تلخيص باريز" "التي تسرد لنا رحلة طالب مصري في أواخر القرن 19 عشر إلى باريس فيعجب بهذه " المدينة الأروبية وفنونها الراقية وثقافتها المتألقة" [2]،وأيضا بجغرافيتها وسكانها وقوانينها وفنونها وعلومها ودستورها ، وهذه الرواية تبين لها احتقار العربي لعقليته الرقية وتمجيد عقلية الآخر الغربي ليكون بهذا "رفاعة الطهطاوي" أول من يعترف بتقديم الغرب في مختلف العلوم رغم أنهم لا ينتمون إلى ديننا الإسلام.

فهؤلاء الروائيون يدعون إلى محاكاة الغرب ،وطمس الهوية العربية لأنه النموذج في الحرية والديمقراطية والمساواة والدولة الحديثة وحقوق الإنسان وهاجس الخوف الذي يتملك قلب كل عربي من الغربي ،ليس إلا نتيجة للتخلف والضعف والإنحطاط وانغلاق الأنا على نفسها ،وهذا الضعف الذي يكابد الشرق، العرب هو من إنجاز الشرقي نفسه فلا يجب أن نحمل أو نوجه المسؤولية كاملة إلى الغرب.

والحال نفسه مع رواية علي المبارك" علم الدين " حيث جسد لنا فيها الرؤية الإنبهارية بالحضارة الغربية وعلومها وفنونها وثقافتها ،فهم بهذا رجخوا كفة الغربي وحضارته على كفة العربي بكل ما يملك من إرث حضاري وثقافي وديني.

---

[1]:محمد راتب الحلاق، نحن والآخر ، منشورات اتحاد كتاب العربي ،دمشق ، 1997، ص34.

[2]: باديس فوغالي ،جدليو الشرق والغرب في الرواية العربية ،مجلة الدب والعلوم الإنسانية ،العدد الثامن ،جوان 2007، جامعة الإمير عبد القادر قسنطينة ص10

- **موقف التماهي بالغرب:**

إن هذا الموقف يدعو صراحة أو علنا للإلتحاق بالحضارة الغربية ولعل قول "سلمة موسى" يؤكد ما قلناه إذ يقول "هذا هو مذهبي الذي أغمل به طول حياتي سرا وجهرا ،فأنا كافر بالشرق مؤمن بالغرب وفي كل ما أكتب أحاول أن أغرس في ذهن القارئ ،تلك النزاعات التي اتسمت بها أوروبا"[1]

ومن خلال مقولة "سلامة موسى" يتضح لنا أنه يعمل على توجيه كل العرب إلى الغرب ،والإنفصال نهائيا عن الشرق ،و هذا يؤدي بنا انصهار والذوبان الكلي في حضارة الآخر الغربي وطمس هوية الأنا العربي ليصبح التماهي بالغرب وتكرار نموذجه" يعني الحرمان من أهم وضائف الحضارة وتبني قيم الآخرين" [2]لأن وظيفة الحضارة هي قدرتها على إنتاج القيم ورؤيتها للذات وللآخر، لكن هذه الدعوة (إتباع النموذج العربي الجاهر) أخفقت فيما بعد، لأن الذات العربية واعية وتدرك بأن لها إرث ثقافي حضاري إسلامي زاخر لا بد من الحفاظ عليه والعمل على تطويره فقط إذن فالحداثة التغريبية في المجتمعات العربية ليست طويلا ولا يتجاوز قرنا في أفضل أحوال اشتغالها إلا أن آثاره في الجسم الإجتماعي والثقافي لم تكن قليلة الشأن"[3]

هذا يعني أن الحركة التغريبية أثرت تأثيرا بالغا في الثقافة العربية رغم أنها لم تدم طويلا.

- **الرؤية الحضارية:**

أن هذا الموقف يرى أن انغلاق الذات العربية على نفسها لا ينفعها ،بل لابد من تبادل الخبرات والمعارف والعلوم مع الغربي ولكن لا يجب أن تتبعه في كل شيء لأنه يضرها ولا ينفعها إذن هو موقف "يأبى الإنكماش على الذات لأن إنكار الثقافة الغربية لا يستطيع أن يشكل في حد ذاته ثقافة ،ولأن الرقص المسعور حول الذات لأن إنكار الثقافة الغربية لا يستطيع أن

---

[1]: محمد راتب الحلاق ،المرجع السابق ص37

[2]:المرجع نفسه ص38

[3]:المرجع نفسه ص38

يشكل في حد ذاته ثقافة ولأن الرقص المسعور حول الذات المتفردة لن يجعلها تنبعث من رمادها ،فهذه النظرة تدرك خير الآخر وشره وتدرك أن أروبا كما نفعتها كثيرا قد تضرنا أكثر ،ولعل ما يبرز لنا قوتنا هو ما صرح به" عبد الحميد الزهراوي ": "لا ينفعنا الجمود ومعاداة كل أشياء الأجنبي باسم الوطن فإن الوطن للبشر واحد هو دار الأعمال والتكاليف التي تطلب من الكل وتوزع على الكل ويتبادلها الكل "فأصحاب هذا التيار لعلهم اقرب إلى المنطق والواقع لأن نظرتهم معتدلة ، متوازنة ،يأخذون خير أوروبا ويتجنبون شرها ،فهم يستعملون العقل والفكر ويبتعدون عن التقليد الأعمى ليكون الحوار الحضاري هو الأداة أو السبيل الوحيد لبث الطمأنينة في قلوب العرب والغرب ،هم"تنبهوا إلى أسباب تقدم الغرب ماديا وتقنيا وعلميا وثقافيا، ولكنهم تنبهوا ألى أسباب تقدم الغرب ماديا وتقنيا وعلميا وثقلفيا ولكنهم تنبهوا ايضا إلى قيمة الشرق وتميزه على مستوى القيم الدينية والروحانية والدفاع عن اصالته وعاداته وتقاليده وحضارته وشرقيته"[1] وهذا ما جسدته لنا روايات كثيرة لعل ابرزها رواية "عصفور من الشرق" لتوفيق الحكيم و"الحي اللاتيني " لسهيل إدريس و"قنديل أم هاشم" لحقي يحيى ... وغيرها من الروايات.

فهذه الروايات تعكس لنا التفاوت الحضاري بين غرب التقدم والعلم والتكنولوجيا وشرق التخلف والجهل والخرافات والأساطير، هي نصوص روائية تدرج ضمن الرؤية الحضارية التي تصور العلاقة الجدلية بين الشرق والغرب الأنا والآخر.

- **الرؤية العدوانية:**

يرى أيضا هذا الموقف أن الآخر الغربي مخالفاومقابلا للذات أو الأنا العربية لأنه يحاول

إقصاءها وتهميشها ومحوها بممارسة كل انواع العدوان والإضطهاد عليها فيصبح الغير بالنسبة لها من مرحلة التعايش والسلام إلى مرحلة العدوان والصراع الجدلي "[2] ليكون الهدف كل واحد منهم التخلص من الآخر بأية وسيلة كانت ،وهذا ما تولد "عند فكرة الإستعمار الحديث

[1]: حمداوي ،جميل صور جدلية الأنا والآحر في الرواية العربية "مقال في الأنترنت"
[2]: باديس فوغالي المرجع السابق ص9

الذي قام على الغلبة والهيمنة، وفرض النموذج الأروبي والمريكي على الشعوب آسيا وإفريقيا لتتسم العلاقة بينهما بالصراح المسلح الدموي التي زهق فيها أرواح مئات الألاف والملايين من العرب والمسلمين فينتج صراع وصدام وفق المعادلة طرفها الأول (الآخر) تحكمه قوة استعمارية تريد فرض هيمنتها وسيطرتها بأساليب الردع والإذلال والطرف الثاني تحكمه ثقافة عربية إسلامية ومعتقدات روحية لتترسخ في ذهنية العربي الطبيعية العدوانية للغرب (الحملات العسكرية التي شنتها أوروبا على الشرق منذ الحروب الصليبية إلى يومنا هذا).

إذن الشرق والغرب عدوان تاريخيا ،فهما لا يلتقيان أبدا ولا يمكن لهما العيش جنبا إلى جنب في إيطار العلاقة إنسانية عالمية واحدة ،بل يسعى الغربي دائما إلى تقويض وتدمير العربي بما أنه يهدد مصالحه ،وهذا ما ادى إلى ظهور تيارات ،أو حركات تحمل الحقد والضغينة والكراهية إلى الغرب وتحاول ضربة من كل جهة ،فإذا انتصر أحدهما على ٱلآخر ينتج ما سماه هيغل(بجدلية العبد والسيد)

لتكون العلاقة دائما بين الشرق والغرب سلبية ولا يمكن لها أن تكون إيجابية قائمة على المحبة والصداقة والتعايش والسلم والسلام بل هما يعيشان في صراع مسلح بدل التفاعل الحضاي والمثمر بينهما ،بسبب الكراهية والعدوان وهذا ما جسدته الروائية "فدوى طوفان" في روايتها "الرحلة الأصعب" فهي رواية تحمل صورة عدائية للآخر مبنية على النبذ، والإحتقار ،والإزدراء،الأنا مجسد في شخصية فلسطينية تعرضت إلى التشريد والتعذيب والطرد من أرضها والآخر هو الصهيوني المستعمر المستغل ،فالرواية من بدايتها إلى نهايتها نظرة سلبية للغرب، قائمة على الصراع الجدلي والعدوان الوجودي.

- **الرؤية الحقوقية والسياسية:**

"إن هذه الرؤية قائمة على تشخيص النظام السياسي وطبيعة الحكم في دولة من دول وكما ترصد"علاقة الحاكم بالمحكوم سياسيا ومدنيا وعسكريا وحزبيا ونقابيا وتشخيص الحالة السياسية للدولة وتبيان وضعية الحركات العامة والخاصة وحقوق الإنسان"[1].

وهذا ما تطرقت إليه بعض الروايات العربية ،حيث نظرت إلى علاقة الأنا بالآخر من رواية سياسية ،فصورت الغرب على أنه مكان للحلاية والمساواة والديمقراطية القة ،ووالإنسانية المطلقة ومملكة لحماية حقوق الإنسان من الإستبداد والقهر والرعب والعنف والقمع الذي يسلطه العربي على غيره ،ومن الروايات التي تحمل هذه الرؤية الإنتقادية للسياسة العربية مبرزة محاسن وإيجابيات السياسة الغربية المتمدنة والمتحضرة ورواية "شرق متوسط) لكاتب العربي المعروف "عبد الرحمن منيف" حيث تروي لنا الرواية انبهار "رجب اسماعيل" بالسياسة العادلة والديمقراطية الحقة التي يمارسها الغرب في حين يصف لنا الدول العربية بالقهر والعنف والإستبداد ، واتهاك حقوق الإنسان وقمع الأشخاص الداعين غلى الثورة على هذا النظام السياسي الفاسد لأنهم يحاولون تحقيق التغيير على كافة الصعدة وهذا يمس بمصالحهم ونجد هذه الرؤية جلية في رواية "نجمة أغسطس المصري والآخر الروسي" للروائي المصري "صنع اله ابراهيم" حيث وظف الول المصري أنه يعيش في الفقر واتلقمع والإستبداد بينما يعيش الثاني الروسي في حرية وتعليم ومساوة فيصبح استعمار الغربي للعربي بحجة جلب وزرع الحضارة والتقدم والرقي والديمقراطية والحرية والمساواة اللامتناهية والمطلقة في بلدان العربية ،البتي تعيش نار القمع والإضطهاد والإستبداد الذي سلطه مافيا الدولة عليها "السياسيين"

[1]: جميل حمداوي ،صور جدلية الأنا والآخر في خطاب روائي ،مقال من الأنترنت

➢ ثانيا:الهوية:

إن الحديث عن الهوية أو الخصوصية في عصرنا يعد حديثا مختلفا ،بدائيا شاذا لا يواكب التطور الحضاري خاصة في ظل ما يسمى بالنظام العالمي الجديد ،أو العولمة التي تسعى أو تهدف إلى إلغاء جميع الحدود الفاصلة الثقافية التاريخية بين الشعوب والأمم ،وجعل العالم قرية كونية صغيرة ،إلى درجة تزول وتندثر فيها جميع الخصوصيات والهوايات التي تحددها مجموعة من المشتركات(القواعد ،المبادئ ،الكليات ،المنطلقات) والتي تسري أو تنبض في دمها أو عروقنا دوما)

لكن في حقيقة الأمر أن هذا النظام الجديد هو استبداد حضارة مهيمنة (الحضارة الغربية) ،وفي وقت نفسه إجبار للشعوب والأمم عن التخلي وترك ثقافتها وحضارتها وهويتها باعتبارهم مشتركات دونسية بدائية.

✓ ماهية الهوية:

إن الإنسان العربي في بحث مستمر ودائم عن ذاته ،أو بالأحرى خصوصيته "نتيجة ما يعانيه من شعور حاد يفقدان الهوية ،بعد تضليله عمدا في أغلب الأحيان عن خصوصية ناجمة عن خصوصية الواقع الذي تعامل معه"[1] ،أي أن الهوية العربية موجودة لكنها ضائعة بفعل عدة أزمات وانكسارات ومنعطفات تاريخية حاسمه يجب البحث عنها لإسترجاعات واستيرادات وهذا البحث "يهدف أصلا إلى المساهمة في عملية النهوض الشاملة التي تتطلب إليها الأمة ،إنه تنمية حضارية هدفها خوض نضال حضاري ضد تحد حضاري يواجهنا ومازلنا نتعرض لضغوطه المتزايدة"[2]

[1]:محمد راتب الحلاق، نحن والآخر ،مرجع سابق ،ص47
[2]:سعد فهد الضويخ، صورة الاخر في الشعر العربي مرجع سابق ص25

كما أن هوية الأنا العربي تظهر من خلال وعيه بالآخر الغربي والإحساس بوجوده المختلف والمتباين والهوية هي:"الأصل والجوهر فالهوية من هو بمعنى جوهر الشيء وحقيقته ،وبالتالي فإن هوية الشيء ثوابته التي تتجدد ولا تتغير تفصح عن ذاتها ما بقيت الذات على قيد الحياة"[1]

فالهوية هي خصوصية الذات الثابتة ،أصلية تجدد لكنها لا تتغير فهوية العربي تبرز من وجود الآخر وحضوره والوعي به (الغربي)لأن إدراكه ووعيه يؤدي مباشرة إلى شعور الأنا الذات بالإختلاف والتمايز عنه.

إذن ما هو ثابت وأصلي هو "الهوية أعني الخصوصية التي تتميز بها الأمة من سواها من الأمم بمعني أن هذه القسمات الثابتة في الشخصية الحضارية ،والتي نسميها هوية تستعصي على التطور والتغيير حتى ولو كان غزوا تغريبيا"[2] ،كما أن إحساس الذات العربية بهويتها تزداد أكثرعندما تعقد مقارنة مع الآخر الغربي، سواء من ناحية التضاد والإختلاف أو التوافق التشابه لما تعاين "الذات الآخر تظهر الفوارق الخلقية والخلقية والإيديولوجية تبدأ الهوية بالتشكل ويبرز الوعي بوجود هوية الآخر أيضا"[3].

فالأنا الذات العربية تؤكد دائما على صفاء ونقاء وتفوق حضارتها وثقافتها وهويتها وعقيدتها المختلفة عن ثقافة وحضارة وفكر الآخر الغربي فيشكل هذا وعيا وإدراكا بذاتها وهويتها التي ترتبط ارتباطا وثيقا بأمرين :النسب العربي ،واللغة وهما من أبرز عناصر الوعي بالذات فمن خلال هذين العنصرين تتشكل الهوية العربية ويتم التعرف على الآخرالعجم فالعربي نسبه يتكلم العربية ولايدين الإسلام ، وبامتلاك العربي لهوية تمكنه من تشييد مجتمعا عربيا متواحدا يسعى إلى تحقيق أو إنجاز أشياء من بينها بناء مشروع حضاري نابع من العقل والوجدان ،وفي المقابل نجد الغربي يعمل على محو هذه الهوية تارة باسم التمدن والتحضر وتارة باسم التقدم والتطور أو العمل على إلحاق الأمم الأخرى بها وصولا إلى التبعية الكاملة

[1]: محمد راتب الحلاق مرجع نفسه ص 53

[2]:سعد فهد الضويخ ، صورة الآخر في الشعر العربي ،مرجع سابق ص26

[3]: المرجع نفسه ص 27

والعمياء ،وهذا يفقدها قيمتها وهويتها ،أي ذوبان وانصهار كلي لهوية الأنا والذات في هوية الآخر،

✓ **الهوية بين الإنفتاح والإنغلاق:**

إن العلاقة بين الجماعات البشرية المختلفة إما تتسم بتأزم الوضع وتنشأ الخلافات والنزاعات المسلحة والحروب وإما تتسم العلاقة بالتفاهم والتعاون والتبادل فيعمها السلام والآمان فالعلاقة أو الحالة الأولى هي ينطبق على علاقة الشرق بالغرب،فهل العلاقة العدائية بينهما تجعل الذات أو الأنا منغلقة على نفسها ترفض كل ما يتعلق بالآخر،أو أنها منفتحة عنه وتقتحم عالمه المتخلف؟

إن الإنفتاح على الآخر وفتح كل الأبواب أمام حضارته وثقافته يؤدي إلى الإنسلاخ عن الهوية والإنفلات من المبادئ والقيم ،وبالتالي الذوبان والإضمحلال في حضارته، فهذا يعني أن الإنفتاح مع أو على "الآخر تتطلب حسا ويقضة ذهنية عالية ودائمة لأن السقوط في شرك المرجعية يعني الوقوع في الإستلاب الهوياتي فتصبح الهوية الثقافية ... معرضة للتدمير من الداخل وبطريقة هادئة ،فالهوية عند ئذ تكون نسخة متماثلة مع هوية الآخر"[1] لأن البيئة الثقافية العربية تختلف وتتباين على البيئة الغربية الثقافية ،فالأولى مسلمة يمثل الدين (القرآن الكريم) مصدر قوتها المركزية الفاعلة المؤثرة ،أما الثانية فهي بيئة كافرة لا دينية أي لائيكية غير مسلمة.

وهذا الموقف الذي دعا إلى غلق جميع الأبواب ،والمنافذ أمام معارف وعلوم غير المسلمين ينظر دوما إليهم على انهم الشر والسيطرة والهيمنة والإحتلال أي أنه موقف "الرفض القاطع للإنفتاح على العالم و لمبدأ التثاقف ، ويحكم على نفسه بالإنسحاب من التاريخ الإنساني والتوقع على الذات واجترار الموروث من دون تحسين وتأرخة "[2] ، فترتد الذات بشكل عنيف

[1]:سامي الوافي ، المثاقفة النقدية وسؤال الهوية ،تفاعل الذات بالآخر ، مرجع سابق ص09

[2]: عبد الإله بالقزيز ،العرب والحداثة ،دراسة في المقالات الحدثيين ، مركز دراسات الةحدة العربية ، بيروت ، لبنان ،2007 ن ط 1 ص 24

على نفسها وحضلرتها وثقافتها ومجتمعها وتغلق كل الأبواب على ثقافته الأخر العربي، ترفض الإنفتاح والتحديث بشكل قطعي مطلق ، لأنها تملك الحقيقة المطلقة فهي ليست بحاجة إلى معارف وعلوم وتجارب الآخرين (الغرب).

فلإنفتاح في نظرهم ليس إلا أسلوبا ،أو وسيلة جديدة تستخدمه القوى الكبرى "الدول العربية" لفرض قوتها الإستعمارية وتكريس مبادئ الإستقلال والتبعية ،لكن هذا الموقف في مأزق خطير،لأن الثورة الحديثة تحاصرنا من كل جهة وتفرض نفسها علينا في مختلف مجالات الحياة فنضطر دوما إلى استخدام أدواتها فيقود هذا التناقض الحاد إلى وجود تغيرات كبيرة في الإدراك و الوعي والقدرة على استعاب النتائج المتخضة وبالتالي يقود إلى صدمات نفسية وفكرية تعجل بحصول ردات فعل عنيفة تنعكس بشكل ظاهر ،تشدد عنيف وتعصب ومواقف سلوكية غير صائبة"[1]

كما أن الوضع السياسي والإقتصادي والإجتماعي الذي تعيشه الأمة العربية اليوم مزري ومختلف خاصة في المحافل الفكرية يؤدي بها إلى فراغا كبيرا فينعكس ذلك على شكل انفتاح منفلت وانزلاق متشتت يقود إلى الهاوية مباشرة ،أما الإنغلاق المتشدد يعمل على حفظ النفس أو الذود عن وجود يتهدده المحو الحضاري والثقافي من خلال العود إلى الذات والتشرنق عليها"[2] وهذا تأكيد للذات أكثر مما هو تأكيد للهوية خاصة وأن الغر يحاولون إلحاق العرب وغيرهم من الأمم الأخرى فهذه المركزية الغربية تقدم للعرب مزيدا من التأخر ،والتخلف والضعف والإنحطاط والفقر.

فأصحاب هذا الموقف إذن يرفضون الإنفتاح على الآخر الغربي ويدعون إلى الإننكفاء على الذات والعودة إلى الموروث العربي لنستمد منه القوة وبالتالي الرجوع إلى العصرالذهبي للأمة للنموذجية والإقتداء به فهذا الرفض والإنغلاق ينطلق من الذات ويؤكد على استقلال الفكر

[1]: مرتضى معاش ،في إشكالية الإنفتاح والإنغلاق ، مقال في الأنترنت ضمن المواقع www.mortarda.com 12:30، 08 -02 -2015م

[2]: عبد الإله بالقزيز ، المرجع السابق ،ص25

العربي والهوية والقومية والوحدة التكاملية وما تحتويه من مكونات روحية تاريخية مادية هو رفض للتسول الثقافي والكسل المعرفي والتبعية العمياء،أي الإنسلاخ عن الذات.

وكل هذا يولد صراع ومواجهة بين الأنا العربي والآخر الغربي هي مواجهة تفرض علينا أولا التعامل مع الآخر يكون بشكل صحيح أما التعامل مع الآخر يكون بشكل ناقد لا مجرد زبون يستهلك ويستوررد كل الأشياء دون النظر إلى مدة صلاحيتها.

أما الموقف الذي يتبنى فكرة الإنفتاح أو يؤكد على أولوية الإنفتاح والإنخراط في المسيرة العالمية والتطبع بمفاهيمها الثقافية الحديثة من أجل البقاء في الركب الحضاري وإنشاد التقدم والتطور باستمرار دائم فالغرب بالنسبة إليهم " مرآة تساعدنا على رؤية أنفسنا في السلم الحضاري وتحدد لنا على أية درجة نقف... كيف سنتوجه وأية أدوات نستعمل لإستكمال مشروع المعاصرة"[1] إذ يرى هؤلاء ليس هناك ثقافة محلية صافية ونقية ،بل كل ثقافة فيها الإختلاط وتأثيرات خارجية ودليل ذلك انفتاح المسلمين قديما على الثقافات الخارجية ،الفارسية ، اليونانية ،وهذا التحقيق التقدم والتطور والرقي وربما فكرة التقدم ليست مستقاةمن تاريخ ثقافي أو اجتماعي عربي إسلامي موروث عن حقبة ما قبل النهضة ،وإنما هي مستعارة من التراث الأروبي الحديث"[2] أي أن الماضي أو التاريخ لا ينكر وجود صلات ثقافية بين العربوالغرب واتخذت طابعا سلميا بعيدا عن العنف ،وكانت لها فوائد جلية وجمة على الأدب والثقافة بشكل عام وهذا التأثر والتأثير المتبادل ،يجعل الأفكار والمفاهيم ،والتصورات تتفاعل " ثم تنفتح وتهذب وتبدأ بإنتاج المعارف الحقيقية".

حيث نجد "رفاعه الطهطاوي" يؤكد على ضرورة مخالطة الآخر الغربي عن طريق المخالطة اللغوية فالغربي قدم خدمة لا تنسى ولا تنكر للأدب العربي ولم يقتصرهذا على الأدب فقط بل اتسع ليشمل جميع العلوم والمعارف الفلسفة الطب الفلك الهندسة...إلخ.

[1]: سامي الوافي ،مرجع سابق ، ص10

[2]: محمد راتب الحلاق ، مرجع سابق ،ص 58

فهذا الموقف ينادي التقدم والرقي حتى وإن كان على حساب المبادئ والثوابت والأسس التي قامت عليها مجتمعاتنا العربية ويتجسد هذا في التحديث فهم يلتحقون بالمشروع الغربي للحضارة دون قيد أو شر ما في اعتبارهم أن التبني المطلق لمناهج الغربيين ومقولاتهم وأساليبهم هو مدخل حقيقي لبناء عصر أو بناء القوة وتحقيق التقدم.

غير أن الإلتحاق بالمشروع الغربي والتخلي عن الهوية هو "خيانة ما في ذلك ريب لأنها ببساطة دعوة لأن تغادر الأمة إهابها ،لتسكن في إهاب مستعار لم يقدم على مقاسها ،وسوف يتبقى ثوابا مستعارا لابد في تدفع ثمنه أو بالأخرى أجرته... تصبح كالغراب الذي نسى مشيته قانعا بعرج أبدي"[1].

كما أن الإنغلاق على الذات ومروئها يؤدي إلى جمود وتحجر عصر بعينه وهو حكم بعينه وهو حكم على النفس بالموت والفناء لأنها لا تتقدم ولا تتطور،ولا تتغير لكن في الوقت نفسه لا يمكن لهذا التقدم أن "يحدث في ظل الإستسلام لثقافه غربية تعتمد في انتشارها على إفقاد أصحاب الثقافة التي تجري غزوها ثقتهم بأية مزايا خاصه بهذه الثقافة بل وتعتمد على التحقير المستمر لها"[2] لأن هؤلاء يعتبرون التمرد على الهوية الوطنية هي علامة تقدم وتطور ورقي وخروج عن قواعد اللغة العربية القومية مفخرة كبيرة لا استحياء ليحظى ويتمتع الغربي بالتبجيل لمجرد كونه أجنبيا.

لنستنتج إذا أن الأنفتاح الكلي أو المطلق يجعل الأمة تخسر الكثير من ثوابها وأصالتها وقيمتها منه الهوية والتراث.

أما الإنغلاق المتشدد فيجعل الذات متقوقعة على نفسها فلا تتطور بل تبقى جامدة متجبرة فهو يجعل الحياة في عصر ما على الكرة الرضية منعزلة عن بعضها البعض.

---

[1]:محمد راتب الحلاق ، مرجع سابق ، ص58.
[2]: المرجع نفسه ،ص59

كما ان الإنغلاق والقطيعة تفقدان الإتفاق المرجو لتحقيق الوجود الإجتماعي والتطور معا والإنغلاق على الذات ناتج من مصادر عديدة لعلى أبرزها :هزائمنا العربية الدائمة ،تجربتنا مع اللإستعمار واحتلال فلسطين أي هو نتيجة للخوف والرعب والهزيمة ليكون الإنفتاح ضرورة حيوية يفرضها الواقع الإجتماعي الحتمي.

وفي الأخير يمكننا القول أن لا إفراط ولا تفريط، فغلى العرب أن لا ينفتحوا كليا على الآخر الغربي فينسلخون عن شخصيتهم وهويتهم ولا ينغلقون كليا فيتقوقعون على ذاتهم بل يأخذون كل ما ينفعهم.

يأخذ كل ما هو إيجابي مفيد يخدمه ويخدم مصالحه مثل(العلوم الفلسفة الطب الفلك الهندسة...) ويترك كل ما هو ضار وسلبي ويهدد مصالحه مثل : إتباع سياسه الإمبريالية التي تهدف إلى سحق الهوية والشخصية الوطنية المحلية ثم إعادة تشكيلها وتركيبها في إطار شخصية وهوية عالمية ،أي انصهار وذوبان ما هو خاص في ما هو عام ، وفي هذه الحالة يفقد المرء أو الفرد مرجعيته ويتخلى عن انتمائه وولائه فتصبح الأمة العربية والشعوب الأخرى تدور في فلكها دون علمها فما تشهده اليوم سوريا العراق لبنان مصر تونس من أزمات وانكسارات داخلية هي نتيجة لهذه السياسة الغؤبية الآخر الذي يسعى دائما إلى تشتيت وتمزيق وضياع الأنا العربي وتحويله إلى كيان ضعيف لا حول ولا قوة له، غير متماسك قابل للهدم والسحق والمحو.

إذن فالإنفتاح هو سحق للحضارة وللثقافة وللمنافع وللمصالح العربية الإسلامية هو ضرب للإسلام وللمسلمين لأنه تعامل مع الحركات الغربية الناقدة والمسيئة والمشوهة للإسلام.

➢ **ثالثا :الشخصية الروائية"**

تعتبر الشخصية أهم العناصر الأساسية لما تلعبه من دور رئيسي في إنتاج الأحداث بتفاعلها مع الوقت ،وتصارعها بل هناك من النقاد من يذهب إلى القول بأن الرواية هي "فن الشخصية" ومن هنا تعددت الكتابات التنظيرية والبحوث التطبيقية التي تناولتها والتي أدت بدورها إلى تعدد مفاهيمها.

وقد اختلفت نظريات النقاد حول فاعليتها وفي الكتابة الروائية والقصصية حتى أن الدراسات الأدبية النقدية الحديثة لا تستطيع رغم آلياتها النقدية تجاهل دور الشخصية وإغفال أهميتها حتى وإن كان عن طريق تفسير مقولاتهاوتصرفاتها،من أجل الوصول إلى مضمون فكري واجتماعي،

" إذن فالشخصية عنصر محوري يقوم عليه كل سرد ،حيث لا يمكن أن تصور رواية دون شخصيات كونها تعمل على تحريك الأحداث من فترة لأخرى"[1].

"فبعد الملك مرتاض" في كتابه""نظرية الرواية"يرى أن الشخصية مفاهيم متعددة بتعدد وجهات وجهات النظر واعتبرها علم معقد وشديد التركيب كما انها تتعدد لعدد الثقافات والحضارة والإيديولوجيا والمذهب...

والملاحظ أن كل روائي يتعدد في أشكال تقدمية لشخصيات الرواية لأنها تخضع لمنطلق التحول الإبداعي من فترة لأخرى".

فمن الروائيين من يكثر أو يسهب في وصف الشخصيات مع ذكر أهم تفاصيلها بالتدفق الممل والبعض الآخر يعتمد على الإختصار والإيجار،كما أن الكاتب "يختار شخوصه من الحياة الحاضرة أو الماضية في التاريخ أو المستقبلية في الخيال كما هو الحال في الأحداث

---

[1]: محمد بوعزة ، تحليل نص سردي ، منشورات الإختلاف ، الجزائر ، ط1 ، 2010 ، ص40

،وقد يعيد رسم الشخصية بإضافة صفات خيالية جديدة أو يكثف سلوكه ليظهر على حقيقة معينه وهو إذ يقدم لشخصية يكون حريصا أن يعرضها واضحة الأبعاد"[1]

أن أهم ما يميز الرواية العربية أو "الجزائرية خاصة" هو توضيفها أو بالأحرى تركيزها على "المثقف الجزائري كونه كان يحمل دوما فكرا حداثيا مغايرا ومختلفا ومتباين للسائد وقتها.

رابعا:صورة المثقف العربي:

قبل الحديث عن العربي ينبغي أولا تعريف الثقافة لأنها مفهوما واسع شامل جامع وقد اتهمت كل الشعوب والأمم بمحاولة فهم وتحديد ماهية هذا المصطلح بشكل دقيق.

- ✓ **ماهية الثقافة:**

أن "لفظ" كمرادف للفظ الإنجليزي "culture"... والثقافة هي اللغة العربية من "ثقف" أي حذف وفهم وضبط ما يحويه وقام كذلك تعني فطن ذكي ثابت المعرفة بما يحتاج إليه وتعني :تهذيب وتشذيب وتسوية من بعد اعوجاج"[2]

[1]:عبد القادر أبو شريفة ،حسين ، مجدخل إلى تحليل النص الأدبي ، دار الفكر للطباعة والنشر ، عمان ، الأردن ، ط3 ، 2000، ص133

[2]: غادة طويل ، الثقافة العربية جذور وتحديات ، kb.com للنشر والتوزيع ، الجزائر ن 2007 ،ص04

المبحث الثاني : الأنا و الآخر ورحلة السرد

كم اتمنى أن يمنحني الله قليلا من العمر لأرى الأمير خارج أسوار سجنه" مونسينور ديوس"

السلام على من نحبه جميعا كاب إلى صديقنا وحبينا قس الجزائر العميق الذي في القلوب والحرمان الكبير " الأمير غبد القادر"

أن رواية " كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد "للروائي" واسيني الأعرج" هي أول عن الأمير عبد القادر الجزائري ،تجسد وتصور لنا تارة أزمة الأنا العربية (المستعمر الجزائري) مع الأخر العربي(المستعمر الفرنسي)وتارة أخرى انفتاح الأنا العربية على ثقافة وحضارة وعقيدة وديانة وعلوم الأخر العربي الفرنسي.

فالروائي استطاع من خلال هذه الرواية ،أن يعيد بناء التاريخ الصامت والمسكوت عنه للرجل العظيم الفذ مؤسس الدولة الجزائرية الأمير عبد القادر الجزائري.

كما جسد من خلالها آلام وآمال الأنا ، الأمير والأخر، مونسينيور، فهذا العمل السردي يعيد سرد الحياة اليومية "الأمير" أو المحطات الكبرى التي مربها في حياته في بداية من بيعته تحت شجرة الدردار، محاربته وكفاحه للأخر الفرنسي ،بناءه للدولة الجزائرية ،وسعيه الدائم لإحداث تغيير في ذهنيات الأنا الجزائرية التي كانت تحكمها العصبية القبلية والخرافة خاصة ،استسلامه ثم نفيه إلى فرنسا وبالضبط في قصر أمبواز تعرفه على القيس الأول للجزائر ، أو رئيس الكنيسة "أدولف أنطوان" أدولف مونسينيور ديبوش" الذي يسعى جاهدا لإطلاق سراح الأمير من المنفى الفرنسي وفي الوقت نفسه إنقاذ دولة عظيمه كفرنسا من تهمه عدم وفائها واحترامها للمعاهدات والإتفاقيات و اخيرا نفيه إلى المشرق العربي.

فالروائي إذن يعيد تركيب لقطات ومشاهد وحقائق تاريخية لكن فيهت بعص من التشويه و الزيف وهذا يدخل في إطار ما يسمى" بجاماليات النص الروائي"

كما يكشف لنا عن الحروب و الواجهات التي خاضها " الأمير" ضد الآخر الفرنسي المستعمر الغاشم الذي سلب ونهب أرض الأنا الجزائر لمدة طويلة لأنه اعتبرها جزء أو قطعة لا تتجزء من فرنسا كما تبين لنا الرواية العلاقة المتوترة والمظطربة بين الجزائر والمغرب أي بين الأمير عبد القادر والسلطان "مولاي عبد الرحمن" كما توضح الخلاف واتلصراع الذي كان بينه وبين أتباعه وأنصاره الذين ليس له مثيل آنذاك ويتجلى لنا هذا في قول الأمير :"أقاتل ليس فقط الفرنسسين ولكني كنت أقاتل حالة العمى التي كانت تصيب بعض خلفائي "[1]

أي ان الأمير كان يكافح و يناظل جبهات عديدة ،الآخر الفرنسي وشراسته وغدره من جهة والقبائل التي ارتدت لحكمه من جهة أخرى الخائبة التي انسلخت كليا عن مقوماتها ومبادئها وانصهرت في مبادئ ومقومات الآخر العربي التي شوهت و خرجت بسبب دينهم ولغتهم وعرقهم وهويتهم وثقافتهم وانتماءاتهم ...إلخ ومثل ذلك تقديمه (الجون موبي)و(أوجين موبي)و(الكابتن بواسيني)و(دوميشال)و(القس مونسينيور ديبوش)هذا الأخير الذي تربطه العلاقة القوية ومتينة بالأنا الأمير حيث كان دائما يتردد على قصر أمبواز لزياراته والإطمئنان عليه ،وأيضا لطرح مجموعةمن الأسئلة التاريخية التي لا تزال عالقة في ذهن هذا الأخير ،فيتولى الأمير الأجابة عنها بكل شفافية ومصداقية لتمثل هذه الإجابات بعد ذلك المحور ةالعمود الفقري للرسالة أو الكتاب الذي يعمل " مونسيور" على إرساله إلى الرئيس الفرنسي "نابليون بونابرت"لأجل إنقاذ " الأمير " وأخراجه من المنفى والأسر ، لأن أصعب الأشياء و أقساها في الدنيا هو أصعب الأشياء هو سلب الحرية من الطرف الآخراللدود المتفوق عاى الأنا بالوسائل الحديثة المتطورة المدافع الحربية فتشعر الأنا هنا

---

[1]: واسيني الأعرج،كتاب الأمير مسالك أبواب الحدبد،دار الأداب للنشر والتوزيع ،بيروت ،لبنان،ط2 2008،ص128.

بالعزلة و اليأس و القنوط وتقاسي هموم البعاد والإشتياق والقصيدة التي نظمها" الأمير" " عذاب الأسر" خير دليل على هذا.

فالرواية تجيب عن المسكوت عنه في حياة "الأمير" وفي كيفيه بناء الدولة الجزائرية ،فالأمير الأنا صمد و حارب غطرسة الآخر الفرنسي الذي كان أكبر قوة استعمارية أنذاك " فكان من الطبيعي أن تهوى إليه الأفئدة وأن يجلب حول شخصية العسكرية و الدينية والأدبية والنقاش والجدل وأن ينال عقب كل ذلك الإحترام والتقدير ...فكتب عنه الأمريكيون والألمان "[1]

القس الأول للجزائر "مونسينيور ديبوش" يقدم المساعدة للفقراء والمظلومين واليتامى والمقهورين ،يقدم العون إلى الإنسانية جمعة ، بعض النظر عن العرق والجنس و الهوية والدين والحضارة التي ينتمي إليها المظلوم (وهذا ما فعله مع الأمير لما سجن).

صدرت رواية "كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد" سنة 2005 عن دار الآداب ،بيروت عدد صفحاتها 554 صفحة ،قسمت الرواية إلى أبواب و فرعت الأبواب إلى وقفات حيث جاءت كما يلي:

الباب الأول: عنوان بباب المحن الأول وتتفرع منه الأميرالية الأولى و فيعهل خمسه وقفات ونهي مرايا الأوهام الضائعة منزلة افبتلاء الكبير مدالا اليقين مسالك الخيبة منزلة التدوين.

الباب الثاني: فعنوان باب الأقواس الحكمة ينصمن الأميرالية الثانية وفيها أربعة وقفات وهي مراجع الشقيقين ،مرايا المهاوي الكبرى ضيلف المعابر انطفاء الرؤية وضيف السبل كما عنوان الباب الثالثك بباب المسالك و المهالك ويتضمن الأميرالية الثالثة وفيها ثلاث وقفات و هي:سلطان المجاهد ،فتنة الأحوال الزائلة قاب قوسين أو أدنى الأميرالية الرابعة

[1]: محمد بشر بويجرة ،الأمير عبد القادر رائد الشعر العربي الحديث منشورات دار القدس العربي ط1، 2009 ،ص253.

فكل هذه الأبواب والوقفات تروي سيرة الأمير عبد القادر الجزائري الأنا وسيرة القس مونيسيور ديبوش الآخلر الغربي الإنساني ، هما شخصياتان نسائياتان يتصاراعان مع آلام ومأساة المنفى ،أو بالأحرى السجن فهما متشابهاتان إلى حد كبير حتىأورد الروائي وقفة بإسم مواجع الشقيقين "فالأمير" و"مونيسيور" يمثلان الأنسانية والتسامح والحوارالحضاري وتبادل المشاريع بين الأنا والآخر على رغم من وجود اختلاف كبير بينهما(اللغة والدين)

فالروائي عند وصفه وتقديمه لجميع الشخصيات التي تمثل الآخر الغربي بالنسبة للأنا العربية ابتعد كليا ،أونهائيا عن الذاتية العمياء معتمدا على الموضوعية ، فأنصفهم وأعطى لهم الحق في الإنسانية فالآخر "مونيسيور" أحب بلد الأنا بكل جوارحه وتمنى أن يدفن في ترابها النقي والطاهر وهذا ما حققه له صديقه الوفي جون موبي" بعد وفاته بثمانية سنوات.

أولا:الأنا والآخر وجماليات العنوان

العنوان هو العتبة التي يلج من خلالها القارئ ألى المتن الروائي ويكون له علاقة مباشرة بالمضمون ،فهو الذي " يوجه قراءة الرواية فيها مفتاح الي يجعل ألغازالأحداث وإيقاع نسقها الدرامي وتوترها السردي ...العنوان عنصر من النص الكلي ...مرآة مصغرة لكل ذلك النسيج النصي"[1]

وإذا تأملنا عنوان روايتنا "كتاب الأميرمسالك أبواب الحديد" نجده يتكون من عنوان رئيسي أساسي:"كتاب الأمير" وعنوان فرعي "مسالك أبواب الحديد" ويدلان منذ الوهلة الأولى أن الرواية تروي وتسرد لنا سيرة المناضل والمكافح" الأمير عبد القادر الجزائري" هو رمز ثوري راسخ في الذاكرة الجزائرية ،رمز للمقاومة والصمود والكفاح في وجه

[1]: رحماني علي،سيميائية العنوان في رواية محمد جبريل ،محاضرات الملتقى الدولي الخامس، السيمياء والنص الأدبي ، 14 -17 نوفمبر 2008،قسم الأدب العربي، جامعة محمد خيضر ،بسكرة ،دار الهدى للطباعة والنشر عين مليلة الجزائر ص 193.

الآخر العدو استطاع أن يدون اسمه بحروف من ذهب في سجل التاريخ لما حققه من بطولات وانتصارات على الآخر الفرنسي.

أما كلمة "الكتاب" توحي بجمع معلومات وأخبار حقيقية حول شخصية الأمير عبد القادر الأنا هو كتاب الأنا الجزائرية في كفاحها ونضالها ومواجهتها وصراعها مع الآخر الغربي(المستعمر الفرنسي)هذا الكتاب ألفه الآخر مونيسيور تحت عنوان "عبد القادر في أمبواز "ليرسله إلى رئيس الجمهورية الفرنسية لويس نابليون بونابرت" ليتم إطلاق صراح " الأمير من السجن أو المنفى.

أما "مسالك أبواب الحديد"فهي عبارة توحي لنا بالمنفى والسجن الذي وضعت فيه الأنا الأمير وحاشيته من طرف الآخر الفرنسي المستعمر .فكلمة "الحديد" توحي بنا بالقوة والصلابة والمتانه أما " الأبواب" فتمثل الخلاص والنجاة والحرية من القيد بالنسبة للأنا الأمير.

فالأنا وضعت في السجن أو المنفى ،فأصبحت تعاني العزلة والعذاب والظلم فجميع أبواب والمسالك والمنافذ والطرقات مغلقة ومسدودة أمامها ، حتى لا تفر أوتهرب وتذوق العذاب المرير من طرف الآخر الفرنسي فالسجن أقصى المحن وأصعبها على النفس والأمير تعرض لهذا الأخير ،لأن اللآخر اللدود تغلب وتفوق عليه بعتاده الحربي المتطور ،ويبرز لنا هذا واضحا في المقطع الروائي الذي جاء على لسان الأمير محاورا منيسيور "الموت حق وواجب يا مونيسيور وأنا في هذا المكان أعتبر نفسي ميتا أو في طريق إلى ذلك "[1]

ويمكننا أيضا أن نعتبر"مسلك أبواب الحديد"هي الطرقات والدروب الوعرة الموجودة في الجبال التي أراد "الأمير" عبورها لإنقاذ الزمالة أو الدولة من الهلاك والخراب الذي ألحقه

[1]:واسيني الأعرج ،كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد ،ص203

بها الآخر المستعمر الفرنسي في أحد معاركه ويبرز هذا في قول الشاب الذي أراد قتل الأمير، دعني أساعدك فأنا أعرف كل المسالك في المنطقة"[1]

ثانيا:رؤى الأنا العربية ورؤية الآخر الغربية من خلال كتاب الأمير:

أن رؤى الأنا الجزائرية اتجاه الأخر الفرنسي انبتت وفق رؤيتين في رواية"كتاب الأمير"وهي

الرواية و النوع الأول: هي علاقة الحب والصداقة العطف والحنان بين الأنا والآخر أي بين " الأمير"و"مونيسيور"والكابتن بواسينيو"و "أوجين دوما"

الرؤية أوالنوع الثاني: هي علاقة الصراع والصدام والمواجهة والمقاومة بين النا والآخر ،أي بين الأمير والإحتلال الفرنسي .

فالنوع الأول:يحمل في طياته أو يتضمن الرؤية الحضارية والرؤية السياسية والحقوقية والرؤية الإعجابية.

أما النوع الثاني:فيتضمن الرؤية العدوانية التي ترى الآخر مخالفا ومقابلا لأنه يحاول إقصائها وتهميشها ومحوها فهو بالنسبة لها همجي ووحشي مدمر،مستعمر لا إنساني.

فالرواية "الأمير مسالك ابواب الحديد"صورت لنا مدة التنافر والصراع ومرة الحب والتعايش بين الأنا الجزائري والأنا الفرنسي.

الرؤية من النوع الأول:

أولا لا بد أن نقرأ أن علاقة الحب والصداقة القوية ،هي المهيمنة والمسيطرة على"رواية الأمير" رغم أنها تصور جدلية الأنا والآخر ،لأن معظم الأراء والأفكار التي وردت على

[1]:المرجع نفسه، ص205.

ألسنة الشخصيات التي وظفها الروائي مؤيدة لحضارة الآخر الغربي لأنها تحاول إعادة بناء الذات بعد وعيها وإدراكها أن زمن الخرافات والبطولات العنترية والقصائد قد ولى ولم تعد نافعة في زمن غمره التطور والتقدم.

ففي كل مرة يشير الروائي وينوه في روايته بكل ما يصنعه الآخر الغربي الفرنسي وينتقد كل ما يصدر عن الأنا الجزائرية ،فالرواية جسدت وصورت لنا محو الأنا والآخر لكل الحدود الفاصلة بينهما ، الدين ، اللغة ،العقيدة، الحضارة ، فراح كل منهما يتبادل المعارف والخبرات والعلوم مع غيره ،فأخذو خيره وتجنبو شره ليكون بهذا الحوار هو الوسيلة الوحيدة لبث الطمأنينة والراحة النفسية بين الطرفين ، فبرزت علاقة الحب القوي في الرواية بين الأنا الأمير والآخر الفرنسي مونيسيور الذي يسعى جاهدا لإطلاق سراحه من المنفى أو السجن.

وهذا ما جاء على لسانه عند محادثته للأمير طويلا في قصر أمبواز (المنفى الفرنسي):"لا أدري من أين جاءني كل هذا ولكني أحبك أكثر مما تتصور ،لك في قلبي مكان واسع وفي ديني متسع لا يفي ولا يموت روحك أنت غالية ومستعد أن أمنحك دمي،أمنحني من الوقت قليلا لأتعرف على دينك وإذا اقتنعت به سرت نحوه"[1]

وفي قوله أيضا للمرأة التي جاءت تطلب مساعدته لإطلاق سراح زوجها من السجن "الأمير عبد القادر"وهي التي كانت سببا ووسيلة أولى لتعرف "مونسيور"على "الأمير" حيث تم تبادل الأسرى فيما بينهما بطريقة سلمية" ما سمعته عن الأمير يؤهله لرتبة قائد وليس حرامي ولا أعتقد أنه سيقتل زوجك مادام سجينا لديه الذين أطلقو سراحهم يؤكدون على أخلاقه العسكرية"[2]

[1]:الأمين زاوي ، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية في تطور علاقة الإنتاج الروائي الإديولوجي من 1830 إلى 1982 ماجستر ،دمشق ص72

[2]: المرجع نفسه ص74

"فمونيسيور" معجب ومنبهر بأخلاق وشجاعة وسبالة"الأمير"فهو مقرب منه يتردد دائما لزيارته في المنفى ليخفف عليه حزنه وآلامه وعزلته ومأساته ،فعندما يكون بجانبه يحس أنه أسعد مخلوق على وجه الأرض ،فقد كان يخشى أن يموت قبل أن يفي بوعده إلى الأمير (إطلاق صراحه من المنفى) ويظهر هذا في قول جون موبي:"ليس الموت برصاصة طائشة هو الذي يخيف ولكن الموت قبل الإنتهاء من تحقيق ما نصبوإليه من خيرللناس كما أتمنى أن يمنحني الله قليلا من العمر لأرى الأمير خارج أسوار سجنه"[1]

فالآخر الفرنسي "مونيسيور" رغم اختلاف دينه ولغته وثقافته عن ديانته ولغة الأنا إلا أنه أراد لها الخير والحرية والخلاص من السجن ،فهو لم يطمئن على قضية الأنا الأمير إلا عندما فتح ملفه في غرفة المنتخبين وهناك وجد من أيده ومن عارضه.

فالقس "دوميسيور"دافع عن الأمير وأحبه كأخ وأب له ،فأحب أرضه الجزائر وتمنى أن يموت فيها لينعم بالراحة الأبدية ، وقد جاء هذا واضحا على لسان الراوي "جون بوي" قوله:ارتبط بهذه الأرض فدافع عنها باستماته ودافع عنها رجلها الكبير الأمير مثل الذي يدافع عن كتاب مقدس استمات في الدفاع عنه حتى جعل حياته كلها رهن إطلاق سراحه البارحة قضيت الليلة بكاملها أفاى كلماتة الأخيرة ... لأفهم عميقا سر هذا الحب ،فمونيسيور قضى عمره وحياته وراحته في البحث عن الحقيقة الغامضة ،أي يوم الذي استسلم فيه "الأمير" وأمضى على اتفاقيه ومعاهدة تحفظه وتحفظ حاشيته ،لكن دوله فرنسا خرقت هذه الإتفاقية ولم تحترمها وعاملت "الأمير" كسجين وأرداء أيضا من خلال ركضه أن يحسن صورة فرنسا للعالم ،أيعقل دولة عظيمة كفرنسا لا تفي بوعودها"

فمونسيور الآخر في كل مرة كان يلح و يصر على إخراج الأنا من المنفى او السجن كل الطرق والوسائل ولعل أول وسيلة هي إدراج ملفه من من مجلس المنتخبين ،لكن بعد فشل الطريق قرر كتابة رسالة إلى رئيس فرنسا" نايليون بونابرت" ليشرح فيها كيفية استسلام

[1]:المرجع نفسه ،ص75

الأمير وخرق الدوق دومال لهذخه الإتفاقية والمعاناة والعزلة والحزن واليأس الذي يكابده "الأمير" في قصر أمبواز.

وما يؤكد لنا هذا هو قول "جون موبي" عند سرده سيرة "مونيسيور"للصياد المالطي "بعد محاولات مضنية استطاع مونيسيور وبمساعدة لاموريسير وبعض النواب أن يقتنع المجلس بفتح ملف سلطان الجزائري.

وفي قول " مونيسيور" أيضا:" أملي أن يجد الأمير طريقا للحرية لن أغاد المكان إلا بعد افنتهاء من إنجاز هذه الرسالة ودفعها إلى الرئيس.

فالآخر تأثر بحالة الأنا الأمير في المنفى لأنه يعيش في قهر و عزلة و ياس وقنوط فالمكان بالنسبة له قبر مظلم ،ويظهر هذا من الكلام العامل في قصر هنري الرابع مع الأمير " تلقينا أمرا من وزارة الحرية بغلق النوافذ حتى لا يهرب الأمير لأمير واتباعه ...ولكن هل هناك من يستطيع الهرب من هذا القبر"[1]

فالوضع الذي عايشه الأمير أدى "مونيسيور" إلى كره باريس والباريسيين لأنهم يتلاعبون بحياة وبمصائر وحريات الناس حيث لا يهمهم سوى مصالحهم ويتجسد لنا هذا في قول "مونيسيور" لمراقبة "جون موبي"

"أتعب من هؤلاء البالرسيين كيف يتحملون هذه المدينة المتعبة ضخامتها تخيفني ناسها ينفلتون من كل منطق ويتقبلونبسرعة من الصعب أن تثق في مزاح البارسيين"[2].

---

[1]: عبد الملك مرتاض ، في نظرية الرواية ،منشورات اتحاد الكتاب العرب ،دمشق ،سوريا 1997 ،ص93

[2]:أحمد البيوري ،في الرواية العربية التكون والإنشغال ،شركة النشر والتوزيع ،مدجارس دار البيضاء ،المغرب ط1 ، 2002، ص129.

فالروائي صوروجسد لنا من خلال روايبنفسته الأنا والآخر (الأمير و مونيسيور)كرجلان حضاريان إنسانيان يمثلان قمة التسامح والحوار الحضاري فيما يكنان المحبة والمودة لبعضهما البعض إذن فالشعور أو الإحساس متبادل بينهما.

"فمونيسيورديبوش" و"الأمير" شخصيتان متشابهان عايشها المنفى وآلامه وعزلته وحزنه ،اظطرا للخروج من الأرض التي أحبها عنوة " الجزائر" تعرضا للخيانة من طرف أقرب الأحباء والأصدقاء وما يؤكد قولنا هو كلام "جون موبي" عنهما "كليهما يخدم الناس والله بطريقة ... وربما بنفس الحماس والعزيمة "[1]

فمونيسيورديبوش" أحب أرض الأنا الجزائر بكل جوارحه ، وكان يتمنى أن يموت فيها ،لأنها أرض طاهرة نقية صافية ،كرس نفسه لخدمة الإنسانية على هذه الأرض ، حيث كان يقدم المساعدة للفقراء واليتامى والمحتاجين ،فكثرت الديون على ظهرك لقد نيت وأنقذت اليتامى ولم تسأل يوما لا عونهم ولا عن جنسيتهم ولا عن قناعتهم"[2].

فهذه المسؤولية أو الثقل الذي حمله الآخر مونيسيورجعله يغرق في الديون ،فلم يستطع تسديدها في الوقت المحدد له ،فاظر إلى أن يعمها الخير في قول الأمير:"لم آخذ من تلك الأرض الطيبة إلا المحبة والألام ومثلك خرجت منها كأي سارق.

فمونيسيور الأخر الفرنسي قام بأعمال جبارة بالجزائر بلد الأنا حيث أرجع وفاة القديس أوغسطين إليها ،بني مدارس لإعادة تأهيل البنات التائبات و حمايتهن وشيد دار اليتامى في وهران والجزائر ،لم يبقى مكان إلا زاره وخفق فيه من آلام الناس ،لهذا كان حزنه وجرحه كبيرا عند مغادرته لها وهذا ما جاء على لسانه يحدث الأمير:"لكن المنفى قاس ،مثلك لم

[1]:اسماعيل حاجم ، الصراع الحضاري في الرواية المغاربية ،دار الأمل للنشر والتوزيع ،الجزائر،2007 ،ص183

[2]: اسماعيل حاجم ،مرجع سابق ،ص185,

اشته مغادرة تلك الأرض الظروف القاسية التي دفعتني أمنيتي أن اعود لها لأموت هناك فقط شيئ منها صار في دمي"[1]

"فمونيسيور" يقدم المساعدة للآخرين بغض النظر عن دينهم ولغتهم وثقافتهم وقد أشار الراوي "جوبي موبي " عن هذا قائلا:

"فمونيسيور" ركض طولا وعرضا ليعطي الأمير وحاشيته مكانا يصلون فيه ويقومون أذانهم في قصر أمبواز"[2]

كما حضيت الأنا العربية الأمير في المنفى الفرنسي بالحب والتقدير والإحترام من طرف الفرنسيين ،أمثال "أوجين دوما" و"الكابتن بواسيني" اللذين كانا مرافقين للأنا دائما ومخففين لجراحها وآلامها وأحزانها فأصبحت الأنا لا تطيق فراقها لأنها تعودت عليها ، وتجسد لنا هذا قول الأميرعند مغادرته "قصر هنري الرابع"

يؤذيني ذهابك أكثر من تغييري المكان أتمنى فقط أن تنقطع زياراتك... أنت تشقى الروح بكلامك الطيب وحنانك الكبير وما بيننا كبير"

كما كان "الكابتن بواسيني" أيضا يخمن بمكانة عالية في قلب "الأمير" فهو مرافقة في المنفى ،ومخفق آلامه حيث أصبح يمثل للأنا الأمير عائلته ،فكانت كل محادثته مع الأمير تطبع بالطيبة والود المحبة زالإحترام والتقدير.

كان في كل مرة يطلعه على ثقافته الغرب ويبقى متعطشا لمعرفة المزيد عن ثقافته العرب ويبرزلنا هذا من حلال قول الراوي"عندما دخل عليه بواسيني " كان مرهفا جلس قليلا وعرف أن الأمير في غيروضعه المعتاد للحديث عن الثقافة والفكرة والعقل والأدب "

[1]:جان نعوم طنوس،صورة الغرب في الأدب العربي المعاصر ،دارالنهل اللبناني،مكتبة رأس النبع ،بيروت ، لبنان ص 577

[2]: المرجع نفسه ،ص579

[1]،فالعلاقة كانت قوية ومتينة بينهما وهذا ما يظهره المقطع الآتي: "بواسيني لا توجد دوافع بل بصورات وأفكاره مغلوطة عني"[2]

وما نلاحظه في جل مقاطع الرواية أن الروائي وظف الشخصيات الغربية بأنها ذات أخلاق عسكرية عالية في حين العربي جرده من هذا.

كما ان الآخر اعترف بحنكة وشجاعته الأنا الأمير في ساحة المعركة وهذا ماورد في معظم الجرائد من بينها جريدة "لاموناتير" فزاد هذا من شوق ولهفة الفرنسيين لمعرفة المزيد عنه ،وهذا ما اعترف به لبرانس "دولاموسوفا"في قوله: "الأمير قطع بكل شجاعة مسالك الطويلة...حنكة عسكرية عالية تستحق كل التقدير والإحترام.

"فالأمير عبد القادر"هو سلطان وقائد ناضل من أجل بلده وارضه ودينه ،تميز هو الآخر بأخلاق عسكرية عالية حتى اصبح مصدرا للإعجاب من طرف الكثريين ،قاتل بكل شجاعة وبسالة لإعلاء كلمة الحق لكن الكثرين من أتباعه ارتدوا واتبعوا الآخر الفرنسي بسبب الجوع والفقر الذي هيمن على الأنا الجزائرية آنذاك.

إذن فشجاعة المير اعترف بها غيره ،ويبرز أيضا هذا في المقطع الروائي الآتي الذي على لسان "لبرانس دولا موسكافا": "من يستطع أن ينكر على عبد القادر أنه قاوم من أجل وطنه ودينه وتستحق التقدير من جيشنا ... فقد بادل الجنرال الفرنسي سيفه بسيف الأمير فهذا يعني أن الآخر الفرنسي لا يستصغر عدوه ،أو الأنا الأمير.

فالأمير عبد القادر أحب "مونيسيور"لأنه وقف بجانبه في أصعب المحن وأقسامها (السجن) ويتجلى لنا هذا من خلال المقطع الآتي الذي جاء على لسان الأمير عند زيارة

---

[1]:سعد النازعي :استقبال الآخر ، المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء ، المغرب ،2004 ن ص50
[2]:المصدر نفسه ، ص25

القس له: "أهلا بأخي العزيز أهلا بالمرابط الكبير ,لي كل هذه المعزة أيها السلطان الكريم في قلوبكم"[1]

"مونيسيور" كان مدافعا للامير مخففا بآلامه فحضى بمكانه عالية في قلبه وهذا ما جاء على لسان الراوي "جون موبي": " ركض نحزه كالطفل وترك نفسه تتهاوى بين ذراعيه ... منيسيور هل تعلم معزتك؟ غيبة طويلة كيف أسعفك قلبك كل هذا الزمن.

ليبدوا لنا أن الأنا الامير والآخر الفرنسي وجهان لعملة واحدة ، فكليهما انسلخ عن مبادئه ومقوماته ،وانصهر في ذات الاخر ،فالكابتن بواسيني الآخر لدرجة وفاءه وحبه للأمير الأنا قرر أن يرحل معه ألى "دروسه" أي أنه فضل بلد الآخر بالنسبة إليه المسلم على أن يبقى في بلده دون رؤية الأمير ومصاحبته "فبواسيني" يرى في "الأمير" المثل الأعلى الذي يجب الإقتداء به والسير على خطاه حيث يقول:" يوم صممت على مرافقتك أنا وعائلتي لم يكن في ذهني إلا شيء واحد وهو أن يبقى وفيا لمثل أعلى في الحياة أنتم تمثلونه احسن تمثيل"[2]

فالحدود انصهرت وذابت بين الأنا والأخر وأخذ كل واحد منهما ينهل ويعترف من علوم وثقافة وحضارة الآخر.

فالأمير مكن في بلاد الآخر فرنسا وبالضبط قصر أمبواز (المنفى) فعرف هناك أناس أحبوه وساندوا قضيته وخففوا من عزاته وآلامه ومأساته حيث كان كل يوم يتردد عليه زائراما يسأل عن حاله وطرح بعض الأسئلة عن ديانة وثقافة وحضارة العرب ،فيقوم الأمير بدوره بالإجابة عنها.

مكث الأمير خمس سنوات بالمنفى ،أحب أناس كثيرون فحين أطلق سراحه الرئيس "لويس نابيليون" لم يستطع المغادرة وترك كل الأحباب وراءه ويبدوا هذا جلي في قوله"

[1]:محمد العابد الجابري ، الإسلام والغرب الأنا ةالآخر ، سلسلة فكر ونقد الشبكة العربية للأبحاث والنشر ، الكتاب الأول ، 2009،ص50

[2]:المصدر نفسه ، ص36.

"أنا أشعر بحزن عميق وبصعوبة كبيرة في ترك المكان لي أحباب هنا خبراتهم وخبروني في أرض المعركة وعرفت الشجاع والمقاوم والصبور... إني كلما لامست وجه أحدهم أويده قاومت البكاء والإنهيار صعب أن ترحل بدون الذين تحبهم"

وفي قوله: "لمونيسيور" لقد تعودنا عليك ومن الصعب جدا أن نتركك تذكر دائما لك أصدقاء في أرض افسلام يحبونك ويدافعون عنك مثلك باستماتة سأسافر ولكني سأنقل معي آلام فقدانك وتركك ورائي"[1] ، فالأمير لن يستطع نسيان الليالي والأيام والأشهر والسنوات التي قضاها مع "مونيسيور" فلما أراد مغادلرة فرنسا قدم برنسه كعربون محبه وصداقة لمونيسيور الذي لم يطق الإبتعاد عنه في قول الشاعر: عانقه طويلا ولم يستطع الرجلان أن يكفكف الدمعات التي سالت غزيرة... توقف بواسيني عن الترجمة ...لأن اللغة لم تعد عائق بين الرجلين فقد كان يتواصلان بدونه لا شيء بينهما إلا لغة القلب التي لم تكن غريبة على أي منهما فالأمير الأنا يمثل الحوار الحضاري كان متفتحا على حضارة الغرب فتشبع بثقافتها وحضلرتها ،لم يتعصب دينيا بل كان في كل مرة يشرح تعاليم الدين الإسلامي للآخر الفرنسي ويحاول إقناعه به.

فتحول "مونيسيور" بالنسبة للأمير في المنفى عائلته دافئة تبعث بحنانها وعطفها ودفئها ونورها فتضيء القصر أو الغير المحتوم ،كان عندما يراه يترك كل شيء ويفتح ذراعيه وهو يكرر جملته المعتادة زارتنا البركة ،مرحبا مونيسيور مرحبا "[2] فهو سعيد دائما بجانبه الأمير لأن الصداقة والمحبة التي جمعتهما كبيرة استمرت إلا أن انتقل "مونيسيور" إلى السموات بعد رحيل الأمير في المنفى مباشرة.

---

[1]:سعيد زعباط ن رواية كتاب المير مسالك ابواب الحديد لواسيني الأعرج بين الحقيقة التاريخية والتنخيل التاريخي ، المشرف عبد السلام صحراوي ، مذرة ماجستر ن دفعة 2010 ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، الجزائر ، ص46,

[2]: المرجع نفسه ، ص50

فالأمير كان يحزن حتى لموت أعدائه وهذا ما حدث عند وفاة الجنرال "بيجو" بداء الكوليرا في قول الراوي :"حزن الأمير سيكونكبيرا ومفجعا فقد خسر في شخصية بيجو عنيدا وصديقا تقاسم معه سعير الحرب لقد أمضى الليلة بكاملها منكسرا"[1]

إذن فالأنا الأمير منفتح على الآخر وعلى كل علومهحيث كان يستفيد من خبراتهم ومعارفهم ، ويرغب دائما في قراءة كتبهم لمعرفة أسباب تطورهم وتقدمهم على العرب ، ويتجسد لنا هذا في قول الأمير:" لقد ساعدني بواسيني في الإطلاع على ثقافتهم وعلومكم وأصبحت قريبا منكم لقد كان أستاذي الفاضل وتحمل ثقل طالب مسن ومشى معه خطوة خطوة"[2]

فالأمير لم يقص غيره بل استفاد من علومه وتقرب منه لكي يفهم الأرض والعالم أكثر فأكثر ،كما انه صرح بتفوق وتقدم العربي الفرنسي على النا الجزائري فالأنا ضعيفه وغير قادرة على مواجهة الأخر والصمود في وجه لآلات ووسائل جبارة وضخمة استطاع الآخر الفرنسي أن ينجزها بكل ذكاء (المدافع الحربية)، ويظهر هذا في قول " الأمير" "لبواسيني".

"وجودك أعطاني رغبة كبيرة ... في التعلم كنت أعرف قليلا من الفلسفة اليونانية سقراط ،أفلاطون وأرسطو خصوصا .,, ولكن إكتشافي لديكارت قربني من الأرض"[3]

فهدف الأنا الأمير هو الإطلاع على علوم الآخر لإعادة بناء الدولة على أسس صحيحة وقوية لا تتزعزع فاستشار الكثير من الفرنسيين واليهود بغية القيام بهذا فاستغلو في مختلف مصانع البلاد ،الصغيرة والكبيرة ،ويبرز هذا في المقطع الآتي الذي جاء على لسان الأمير :"دعونا الكثير من الأربيين للمجيئ للإستقرار والعمل في بلادنا وسمحنا لهم حتى

[1]:محمد صابر عبيد ، جماليات التشكيل الروائي ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ،ط1 ، 2012،ص68
[2]: المصدر نفسه ، ص36
[3]: محمد عابد الجابري ، مرجع سابق ص45،

بالتملك نريد أن نستفيد منهم ومن خبرتهم وأن نبني هذه البلاد على أسس صحية وقارة نطمح من هذه الحضارة أن توقظ هذا الشعب النائم على الكذب"[1].

كما أعجب المبر أيضا بالجيش الفرنسي القةي الذي استطاع أن يهزم جيشه في جبال "أمسراد" وأدى به هذا إلى الإستسلام فتمنى أن يستفيد من نظامهم العسكري حيث جاء في قوله:"نتمنى ان نستفيد من خبرة الفرنسيين لخلق جيش نظامي عنيد.

فالأمير خاض حروبا كثيرة ضد الآخر الفرنسي وأتباعه أمثال ملك المغرب" محمد التيجاني" مصطفى بن اسماعيل " وغيرهم فاستشار الروبيين الذين بتعاونون معه لأجل التغلب عليهم ،فمستشاره "ليون روش" الفرنسي كان يساعده على اتخاذ القرار ، وهذا ما حدث فب الحرب التي خاضها "الأمير" ضد "محمد التيجاني" في مدينة" عين الماضي" حيث جاء على لسان مستشاره "ياسيدي السلطان أرى أن هذه الوقاحة ويجب أن بعاقب عليها لا يمكن أن نتحدث مع سلطان كبيرة بهذه اللغة"[2]

كما أن الأنا الجزائرية الأمير اعترفت بتفوق وتغلب الآخر الغربي الفرنسي المستعمر عليها ،مما يصعب مقاومته ومواجهته ،ويبرز لنا هذا في المقاطع الروائية الآتية التي جاءت على لسان الأمير فيقول: "الزمن القادم سيكون عنيفا وقاسيا ...الشقة بيننا وبينهم صارت هوة لقد طاروا وانكسرت أجنحتها الصغيرة"مازلنا نتحرك وكأن هذه الحرب البائسة تبدأالآن أمام عدو ساذج سنظل نقوم بالغازات ...نحن لا نعرف ما نفعله في الكثير من الحالات مثل كل اليائسيين"[3]

[1]: محمد عابد الجابري ، مرجع سابق ، ص50

[2]:السعيد زعباط ، رواية كتاب الأمير مسالك ابواب الحديد لواسيني الأعرج بين الحقيقة التاريخية والمتخيل التاريخي ، المشرف عبد السلام صحراوي مذكرة ماجستر ، دفعة 2010 ، جامعة منتوري، قسنطينة الجزائر ص62.

[3]: محمد راتب الحلاق ، مرجع سابق ، ص35

"لقد قاومت جيوشهم في أرض إفريقيا وأعرفهم جيدا ،الجيش الفرنسي قوي ولا يمكن أن يكسر بسهولة"[1]

"الكلام لم يعد نافعا وكافيا كنا نظن أننا الأفضل في كل شيء وبدأنا ندرك أن الآخرين صنعوا أنفسهم من ضجيجنا الفارغ"[2]

كل ضرباتنا غير مفيدة وآلتنا ليست ذات قيمة ... نحتاج إلى مدافع من عيار أقوى كتلك التي يمتلكها الفرنسيون.

كما تدل جل هذه المقاطع الروائية في الوقت نفسه على إعجاب وغنهيار الأنا العربية الأمير بالآخر الفرنسي المستعمر ،وبما حققه ووصل إليه من تفوق وازدهار ورقي في مختلف المجالات والميادين عسكريا وسياسيا ،اقتصاديا ثقافيا ،حضاريا... لهذا فهو جدير بأن تنبهر وتعجب به بل وسيتحق منها كل التقدير والإحترام.

فالأنا العربية عامة تنظر إلى نفسها بنظرة احتقار ،وتدن واستهزاء وبنظرة إعجاب وتفوق للآخر الفرنسي ،أي أنها تنظر إلى نفسها بنظرة سلبية وإلى غيرها الفرنسي بنظرة إيجابية.

فتصبح الأنا تعاني هاجسا مريرا يرافقها دوما ،هو التفوق الغربي والعجز العربي ،فتحبها لدينا كل محاولات التفكير في التفوق والتغلب عليه وتعطيل جميع فعاليات المقاومة زالمواجهة.

قد تنفتح على كل ماجاء به فتنادي بالتبعية فتنصهر،وتذوب في ثقافته وحضارته وتنسلخ عن هويتها العربية الإسلامي.

[1]: محمد العابد الجابري ، مرجع سابق ، ص 62.
[2]: محمد العابد الجابري ، مرجع سابق ، ص 79.

وقد تبحث عن أسباب تفوق ،وتقدم الآخر"الفرنسي" وتخلف وضعف الأنا "الجزائري"... لتصل إلى أن الآخر يمتلك منطلقات عظيمة وجبارة وفي المقابل يفتقدها الجزائري خاصة والعربي عامة ،مما أدى به على الإستسلام.

والمقاطع الروائية الأتية التي جاءت على لسان الأمير تبين ما ذهبت إليه يقول:"نحتاج إلى زمن طويل لكي ننسى ،ولكي تلتئم جراحنا نحن ،ولكي نصدق ما حدث ،ماجدوى الدم الذي ضاع والأحباب الذين لم يعودون اليوم" [1]

وقوله كذلك:"ويقول ابن دوران اليهودي لجيش الأمير ،أنتم مخطئون فرنسا قوية ، أنتم تعرفون أن جيشنا نظامي ومنظبطا جدا يملك وسائل تدميرية كبيرة"[2]

وفي قول الأمير: كنا نظن أننا سنأكلهم في ساعة وأنهم جبناء وأجسادهم النسائية الرخوة لنا تصمد أمام سيوفنا لكن كل يوم يؤكد لي... كنا نتغنى بمجدكم لم يعد له أي وجود.

فالمقطع الروائي الأخير يؤكد ويبين لنا أن الأنا "الأمير" له ثقة عالية بذاته ،إلى حد الغرور ويعتقد كذلك أنه يمتلك الحقيقة المطلقة.

لكن سرعان ما يدرك أن الزمن قد تغير وهذه الحقائق واليقينيات لم تعد صالحة ونافعة لزمن كهذا في قول الأمير: "الثقة اللعالية بالنفس هي التي هزمتنا وهي التي علمتنا عدم استصغار الأعداء"[3]

ولعل السبب الأول الذي أدى إلى تخلف الأنا من جهة نظر الروائي هو الذهنية أو العقلية العربية وإيمانها بالخرافات والأساطير والأحلام التي يراها كبار قبائلهم (كحلم سيدي

[1]: عبد الإله بالقزيز ، مرجع سابق ، ص 203،
[2]: ماجدة حمود صورة الأخر في التراث العربي ، الدار العربية للعلوم ، بيروت ط1 ، 2010، ص65
[3]: واسيني الأعرج ، مرجع سابق ،ص136.

الأعرج) فهذه العقلية أو الذهنية سعى الأمير جاهدا إلى تغييرها لكنه لم يستطع ،فأفشلت له مشروعهأبناء دولة حديثة متطورة وأدى به هذا إلى الإستسلام.

ففي الرواية بعض المقاطع التي تبين سذاجة التفكير الجزائري ،وتؤكد الإيمان ببعض المسلمات الخاطئة التي ورثتها الأنا عن الأجداد والأباء من بينها :المقطع الآتي الذي جاء على لسان"موريسيو" وهو يسخر من الذهنية الجزائرية المتخلفة البدائية والبسيطة يقول:" يظنونه من سلالة الرسول وأن القوى التي تساعد قوى خارقة ويسنعون قصصا عجيبة حول انتصاراته ... الكثير من الناس قالو إنهم رأوهبحاجة الغزاة بصدر عار والدم ينزف من أطرافه وبجانبه سيدي إبراهيم نفسه كان مرفقا بهالة من النور التي تعمي الأنصار"[1]

أما السبب الثاني فهو حالة الجهل الذي تعيش فيه الأنا الجزائرية ،فالجهل يعمي الأبصار حتى لا ترى الحقيقة الحتمية في قول الأمير "الجهل ياسي قدور أكثر خطرا من الأعداء الواضحين ،الجهل عدو مدسوس فينا ،يمكن أن ينفجر بين يديك فالوقت الذي تنتظره فيه أبدا"[2] ،وفي قول الأمير محاورا القس مونيسيور":" كنا نظنكم تعيشون الجاهلية فينا يا سيدي" [3]وفي قوله كذلك: "ابتداءا من اليوم كل شيئ سيتغير... افنتصار على الغزاة صعب... نحتاج إلى تغيير سلوكاتنا اليومية "[4] ويبرز لنا أيضا في قول "السي قدور" محاورا الأمير "لكنه من الصعب يا سيدي تغيير الذهنيات ألم تقل حجارة الصوان أهون لي من عقل متحجر يعوم في الخرافة"[5]

[1]: نجيب الحمداوي ، جدلية الآنا والآخر ، الدار الدولية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط1، 1996،ص75،

[2]:المرجع نفسه ،ص 83.

[3]:أحمد عبد الحميد عطية ، جدل النا والآخر ، مكتبة مدلواي الصغيرة ، القاهرة ن ط1 ، 1997 ،ص182 .

[4]:جون جوزيف ، اللغة والهوية (قومية ، إثنية ، دينية) ، تلرجمة دكتور عبد النور الخراقي ، سلسلة عالم المعرفة والمجلس الوطني للثقافة ن والفنون والأدب ، الكويت ، العدد 342 ، اغسطس ، 2007 ، ص07

[5]: المرجع نفسه ، ص10 .

كما أن المجتمع الجزائري آنذاك كان يؤمن إيمانا شديدا بالتنبؤات التي تصدر عن أفواه الدراويش ، أو المجانين وهذا مازادهم تخلف مثل تلك المنامه التي رآها " سيدي الأعرج" وأخبر بها كل قبيلة "محي الدين" وتتمثل في مجيء فارس يخلص الجزائريين من المستعمر الفرنسي وهو "اظلمير عبد القادر" حيث يقول الراوي:" أبشركم أن هاتقا وفق على سيدي الأعرج وسيدي محي الدين وبشرهم بسلطان سينزل من لحمهم فارس ،لاشيء يشبهه فيه من روح الله واستماته المجاهد وسمة الأنبياء"

كما يمكن أن نرجع سبب تخلف الأنا إلى الجوع والفقر والحرمان واليأس والقنوط الذي سببه الآخر الفرنسي المستعمر، الذي يرغب ويسعى دوما ألى نهب والإستلاء على كل خيراتها ،وما يؤكد لنا هذا القول الأمير في المقطع الروائي الآتي :" قبائل شيء عامر تركب الدائرة واحتمت بسلطان المغرب... اعذرهم بالجوع وهمجية الريافة كانا وصلا إلى حد لم يعد يطاق.

وفي قول الراوي عن الجيش "دوميشال"لما رجع منتصرا على الأمير في الحربالضروس التي دارت بينهما :فبدأ يعد مكاسبه وغنائمه الكثيرة ألبسة نسائية غالية وحزاميين ذهبيين وأسلحة صغيرة وبعض المصادف المخطوطة والكثير من الأواني النحاسية وغيرها"[1]

كما ان المجتمع الجزائري آنذاك وأوفى تلك الحقبة تحكمه العصبية القبلية فكل قبيلة تود أن تتفرد بالحكم ويكون السلطان من أقاربها وذويها ،فهم لم ينفعوا على سلطان وحاكم واحد يسوس على كل قبائل الغرب الجزائري ،فأخذت القبائل تزيد الواحدة تلوى الأخرى لتتبع الآخر الغلربي ،وهذا ما أضعف حكم "الأمير"و يتجسد لنا هذا في المقطع الروائي الآتي الذي جاء على لسان الأمير:"الذي لم أفهمه جيدا هو الأنقلابات التي تحدث في الناس فجأة الذي كان معك البارحة يصير اليوم بسهولة عدو لك الخليفة مزاري البارح قاتل بجانبنا

[1]: حكيم أمقران ، البحث عن الذات في الرواية الجزائرية ، دار الغرب للنشر والتوزيع ، وهران ، الجزائر ، 2005 ، ص11

واليوم صار معهم ... من الصعب الثقة في هذه القبائل التي تلبس في كل يوم عباءة جديدة"[1].

إذن فهذه هي أهم النقاط التي جعلت الأنا الجزائرية ممثلة في الأمير عبد القادر ،متخلفة بسيطة بدائية منهزمة ومنكسرة أمام الآخر المنتصر عليها فهي تنظر إلى نفسها بنظرة سلبية وإلى الآخر الفرنسي بنظرة إيجابية تفوق ازدهار تطور رقي فأعبت وانبهرت به مما جعلها تخون أتباعها وأهلها وقومها واتبعت الآخر الفرنسي المختلف عنها دينيا ولغويا وثقافيا بطريقة عمياء أمثال القائد "يوسف" و "مصطفى بن اسماعيل" و"ملك المغرب" و"الخليفة سي العربي"

أما الأمير عبد القادر فهو مؤمن بالتعايش بين الأنا والآخر أي لابد من الحوار والتسامح بينهما بدل الحرب والجرحى والموتى.

فالأنا الأمير حين سقطت زمالته على يد الآخر الفرنسي المستعمر في جبال أمسيراد" فضل أن يضع نفسه بين أيدي إخوانه الذين خانوه لأنه كان يعلم أن الأخلاق العسكرية للفرنسيين تقدر وتحترم قائد الحرب وتمنع قتله والتنكيل بجثته فدولة عظيمة كفرنسا تحفظ حقوق وحريات الآخرين في رؤية حيث يقول محاوراالقس الكبير مونيسيور ديبوش "فضلت أن أضع مصيري بين القائد الفرنسي لاموريسيير و أترك البقية لله وحده كان بيده مصيري ولكني كنت أعرف أن ثقافتهم تمنع قتل القائد بل وتحترم شجاعته وتقدر استماتته من أجل المثل الذي يدافع عنها"[2]

إذن فالراوي واسيني الأعرج" استطاع من خلال رواية "كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد"أن يمرر رسالة إنسانية عظيمة ألا وهي تقدير واحترام الإنسان كإنسان بغض النظر عن دينه وعرقه ولغته ،فجل مقاطع الرواية قائمة على الحوار الحضاري والتعايش

[1]: واسيني الأعرج ، مرجع سابق ، ص130
[2]: جان نعوم طنوس ، مرجع سابق ، ص85

والتسامح بين الأنا والآخر وفي هذا الإطار يتم تبادل الأفكار والرؤى المتفقة أحيانا والمتعارضة أحيانا أخرى على مستوى الديني والفكري والإنساني والعلمي.

كما أن رواية " الأمير مسالك الحديد أبواب الحديد" قدمت وجهات النظر المتعددة للآخر الفرنسي اتجاه الأنا الجزائرية الأنا حيث قدمت تارة ننظرة سلبية ـ لا تملك أخلاق ـ وتارة أخرى بنظرة إيجابية الشجاعة والبسالة والصداقة وهذه الأخيرة تكشف عن السكوت عنه والجانب الخفي في حياة الأنا وتكون شاهدة على بطولة و تنصفه في إنسانيته التي شوهت بسبب عرقه وانتمائه.

إذن " فواسيني الأعرج" قدم الأنا الأمير في صورة إنسان عادي وليس كأسطورة كما يراه المخيال العربي هو إنسان يخطئ ويصيب يحزن ويفرح يتألم ويقنط ودليل هذا المقطع الروائي الأتي الذي يصف حادثة عدم معلمة زأساتذه " أحمد بن طاهر "من طرف أبيه "محي الين" حيث يقول الراوي "رفع عبد القادر لحاف برنسه ومسح عينه تبكي با إبني؟ لأمسح الغبار من أعلى وجهي كان الله يرحمه أستاذي ...كان أستاذي يا الله ...خسارة كبيرة[1].

إذن فالأمير الأنا ليس مجرم حرب كما يتصوره الغرب الفرنسيين وليس ملاكا ،أو نبيا بل هو مجرد إنسان عادي.

- **الرؤية الثانية:**

هي علاقة الإشتباك والصراع والمقاومةبين الأنا والآخر الإحتلال الغاشم الذي سلب ونهب أرضا ووطنا، هذا النوع يرى أن الآخر الفرنسي مخالفا ومقابلا للذات الأنا الجزائرية لأنه يحاول تهميشها وإقصائها ومحوها فيمارس عليها كل أنواع الإضطهاد والتعذيب فيصبح في نظرها شيطانا لا يعرف الرحمة و مستعمرا لا إنساني وعدوا لدودا.

[1]: سعد البازغي ، استقبال الآخر ، المركز الثقافي العربي ، دار البيضاء ، المغرب ، 2004 ،ص45.

إذن فالعلاقة بين النا والآخر علاقة عدائية تتسم بالتوتر والإضطراب بعيدة كل البعد عن التعايش والسلم والسلام والأمان وهدف كل واحد منها تقويض ومحو الآخر بأية وسيلة كانت والمقطع الروائي الآتي الذي جاء على لسان الجنرال" بيجو" بين هذا:" عبد القادر سيحصر قي مربع ضيق ... وقتها سنقطفه كالتينة اليابسة"[1] ،وفي قول الأمير في السياق نفسه:"نحتاج إلى فرض قوانا وإلا ذهبت أخبارنا مع الريح ...أقسم أن أدافع عن راية الإسلام وسأحارب كل من يذكر سلطاني الذي هو سلطان الله ،وكل من ساعد أعدائنا فهو عدو لنا وعدو لدينه"

فهدف الأنا ،هو الدفاع والذود عن الدين الإسلامي والأرض لأن الصراع بينهما ،هو صراع ديني عقائدي ،أولا وقبل كل شيء ليكون بهذا الأمير في صراع وصدام دائم مع الآخر وهذا الصدام يتم وفق معادلة لطرفين

- **طرفها الأول :**الإحتلال الفرنسي الذي يريد فرض سيطرته وهيمنته ويسعى إلى محو الأنا الجزائرية كليا من الوجود ويبدوا هذا من خلال المقطع الروائي الآتي الذي جاء على لسان(بيجو) :"لقد قمت بمجهودات كبيرة لإقناع بلادي للإستلاء الكلي والنهائي على الجزائر... والآن يجب إخضاع العرب وتسليط الحرب الشاملة يجب أن يظل العلم الفرنسي هو العلم الوحيد الذي يرفرف على المملكان"[2]
- **الطرف الثاني:** الأنا الجزائرية تحكمه ثقافته إسلامية عربية تقدس وطنها ،تذود عنها وقت الإحتلال ،تحاول استرجاعه بأية وسيلة كانت ويتجسد هذا في المقطع الروائي الآتي حيث يقول الأمير:" ما يزال هناك متسع للمقاومة والقتال الذي فرض علينا ...

[1]:السعيد زعباط ، مرجع سابق ، ص 85.
[2]: السعيد زعباط ، مرجع سابق ن ص86.

أن العرب من ولها مدة حتى الكاف مصممون على خوض الجهاد لا يمكنني إلا أن أكون بجانب الذين بايعوني في هذا المنصب"[1].

إذن فالأنا والآخر عدوان تاريخيان ولا يمكن لهما العيش جنب إلى جنب فالمصالح لا تتفق بل تختلف وتتعارض وتتناقض بينهما وهذا ما أدى إلى نشوب أو قيام حرب ضروس بينهما ،أودت بأحدهما إلى الإستسلام والإيمان بالقدر المحتوم (المنفى الذي فرض على الأمير) لأن الغلبة في هذه المعادلة للقوي.

فالأميرعبد القادر بايعته القبائل للتصدي للآخر،وتحرير أرضهم من سيطرتهم عليها ،حيث حاول كثيرا لنصرة دين الله (الإسلام) وأرضهم فيقول في صك البيعة:"لابد من حماية البلاد من العدو الذي غزا أرضنا وهو يهدف للسيطرة عليها وحب الإمتثال إلى تعاليم الشريعة المقدسة وكتاب الله وأن يقيموا العدل على هدى سيرة رسوله بأمانة"[2]

فالأنا صرحت بالرفض والتمرد والسخط والإستنكار فأعلن يصوت مرتفع العنف الثوري ضد الأخر فاستشهد الكثيرمن اتباعه أمثال :" سي المبارك بن علال" بعد محاربتهم بكل شجاعة وبسالة في قول الراوي:"... لمحو آثار البارود العالقة بالجدران الخشنة التي خلفتها المقاومة"[3]، وفي قول الأمير :" ابتداءا من اليوم كل شيئ سيتغير لسنا في حاجة إلى هذا البذج لكي نحارب الآخرين"[4]

" فواسيني الأعرج "اقترب من ساحة القتال ، أي المعركة فصور ماكان بين الأنا والآخر فضمن جل مقاطعته الروائية أعمال النظال والمقاومة والصراع لأن ثورة وتمرد الأنا ،ينتج عنه التحرر من الآخر الإستعمال ومن كل مظاهر الحرمان والإظطهاد ،والقهر والظلم الذي

[1] المرجع نفسه ، ص89.
[2]:سعد فهد الذويخ ، مرجع سابق ، ص85،
[3]: سعد فهد الذويخ ، مرجع سابق ص 96
[4]: محمد راتب الحلاق ، مرجع سابق ، ص 29

يمارس عليها لأنه شرس في كل مرة يعمل على تدمير المدن سلب الثروات، هتك الأغراض والأموال حيث يقول الأمير:" الجيوش الفرنسية على الأبواب تهدد يتدمير معسكر، وحليفنا الكبير قبائل غرابة ضربت فجرا من طرف دوميشال ،وأخذ مالها وهتكت أغراضها وسبيت نساؤها ونهبت أموالها ومواشيها" .

لكن كلما كان هناك فعل من طرف الآخر المستعمر كان رد فعل من طرف الأنا المستعمرة ،فتبرز وتظهر لنا بطولاتها وبشاعة الحرب وفظاعتها في عنفها الشديدو مراعها المرير ضد قوات الإحتلال في قول الراوي:" الليل وحده كان قادرا على شل ردة فعل القبائل لوهران التي تحاصر القوات الفرنسية وتمنعها من التقدم، أصعبها قبيلة غرايو من أشد القبائل وفاء للامير"

فاستطاع الأمير بهذا استرجاع وتحرير بعض المناطق التي تمت السيطرة عليها من طرف الآخر مثل :مدينة وهران ، حيث تمكن من استرجاع بقوة لت يمكن وصفها في قول الراوي: " المطار لا تسمح لقوات المير بالهجوم على القلعة ... وصار أي هجوم هو مغامرة غير مأمونة النتائج ،فقد جتعء الأمير إلى وهران وفي رأسه إعادة حصار المدينة وإغلاق كل منافذها حتى انصياع دوميشيال لكل شروطه"[1].

وبهذه الحروب تحول سكان الجزائر إلى أناس تعساء قابعون تحت نيران الإستبداد والظلم والقهر والحرمان ،وجميع ويلات الخرب، حيث هجم الآخر المستعمر على مدن كثيرة واستولى عليها (وهران ،معسكر،مليانو ،تلمسان ...)ثم قام بمحاصرة الأمير حتى استسلم ونفي إلى فرنسا ،لأن الحظ لم يكن معه ، قبائل ارتدت وخانت ،واتبعت العدو الفرنسي ،وعلى رأسهم "سلطان المغرب" ومدينة "عين ماضي" فانعدم السلم والأمان والإستقرار

[1]: العلمي مسعودي ، الفضاء المتخيل والرواية "كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد " دراسة بنيوية سميائية ، المشرف العيد جلول " مذكرة ماجستر ، دفعة 2011 ، جامعة قاسدي مرباح ، ورقلة ، الجزائر ، ص65.

وهم من أهم أسس بناء دولة قوية ومتينة ،ويبدوا هذا مجسدا في المقطع الروائي الآتي حيث يقول الراوي :" أصبحت طبول الحرب تقرع نهارا وجهرا ولم يعد أحد يتحدث عن السلم والأمن قبيل الحديث عن ماضي لهم يعد موجودا إلا في الذاكرة" .

فبينت لنا بعض المقاطع وحشية الإستعمار وهمجيته وأنواع التعذيب والتقتيل الجماعي الذي يسلطه على المناظلين والمكافحين ، الذين يطالبون بالحرية والإستقلال التام ،وهذا الفعل الأخير الذي أقدم عليه رغبة ،أو بغية منه في محو وتهميشوتعويض الأنا نهائيا: حيث جاء على لسان " الأمير" :" هدف كلوزيل الذي بدأ يزحف نحو معسكر هو الإستلاء على كل المدن المهمة وقص أجنحتنا"[1].

وبالتالي المستعمر يسعى دائما إلى فرض سيطرته وهيمنته على أكبر عدد ممكن من المناطق في ربوع الوطن ،وهذا ما أثار غضب وسخط الأنا ويبدوا هذا من خلال المطلب الذي قدمه" تريزيل" للأمير جيث قال الراوي:" فقد طلب تريزيل من الأمير الإعتراف باستقلالية الدوائر والزمالات والغرابة وكروغلي تلمسان والقبول ببيعها للتاج الفرنسي والتوقف النهائي عن المطالبة بالأراضي الواقعة على الضفة اليمنى لنهر الشلف وإلا فلا مناص من الحرب التي ستحرق الأخضر واليابس"

والمتمعن في هذه المقاطع الروائية يكشف أن الروائي " واسيني الأعرج" ركز على عالم الحرب والصداع العدوان ليكشف عن الجرح والأثر الكبير الذي تحدثه في نفس الإنسان وليصور لنا غدر ونجاسة وخبث الآخر المستعمر،حيث قال الراوي عن "الليوتنانت كولونيل بوفورت":" كان مثل الثعلب يتشمم كل الحركات ولا يتواتى عن الرمي حتى لو صدرذلك عن أرنب أو حيوان مذعور"[2].

[1]: العلمي مسعودي ، مرجع سابقَ ص 65.
[2]: العلمي مسعودي / مرجع سابق ، ص 88

إذن فالآخر ثعلب ماكر مكر بالنسبة للانا هتك عرضها واغتصب أرضها وفي ظل هذه الوضاع المأساوية الخانقة يضطر العديد من النساء والرجال على الثورة والتمرد فيواجهون بطش واستغلال وقمع المستعمر، فيلدقون به أضرار جسيمة في ساحة المعركة ،فيهزم الأخر رغم تفوقه وتطوره على الانا ويبدوا هذا في قول الراوي:" كان عدد الموتى والجرحى كبيرا مما تاضطر تريزيل إلى إفراغ الكثير من العربات من الخيام والمؤن وملأها بالجرحى"[1]

فالآخر الفرنسي منذ أن وطأت قدماه أرض " الجزائر" هدفه كان واضحا ويتمثل في محو الهوية الوطنية الجزائرية وطمس الثقافة العربية ،حيث أقدم الجنرال بيجو على حرق كتب "إبن العربي" و" إبن خلدون" وجعل الكتب التي وجدها في مكتبة الأمير والمقاطع الروائية الآتية التي وردت على ألسنة شخصيات عديدة تبين لنا هذا ،حيث قال الكابتن "أوجين دوما" محاورا الأمير:" لم تعيرك فرنسا كثيرا وهي التي كانت تحلم بأن تجعل منك مواطنا من ذويها " وفي قول الراوي :" حيث تم تحويل المساجد إلى كنائس أو إلى مستشفيات وهذا لم يحبه المسلمين"

فالراوي بهذا كشف لنا عن هدف كل من الأنا والآخر:

الأنا : هدفها التحرر ونيل الإستقلال التام على كامل التراب الوطني.

الآخر: هدفه محو الشخصية والهوية الجزائرية ،محو الدين الإسلامي ليحل محله المسيحي ،نهب ثروات وخيرات أرض الأنا واستلاء عليها كاملا ،محو الأنا الجزائرية كليا من الوجود حيث قال قائد الحرب الأمير عبد القادر:" تنقلاتي لا تسمح لي بأي شيء في هذه الدنياإلا نصرة الحق ونصرة الحق وتحرير هذه الأرض من الإستعمار"[2]

[1]: المرجع نفسه ، ص89.

[2]:واسيني الأعرج ، مرجع سابق ، ص48

وفي قول المحارب المكافح الكبير قدور بن علال: أشعر بحزن يا سيدي أخاف من هؤلاء النصاربالذين دخلو غزاة على هذه الأرض ولم يدخلوها طالبي أمان الثقة فيهم صعبة لقد قتلوا وشردوا وذبحوا ونزعوا الرؤوس لكل من قاومهم أو خالفهم الرأي"[1]

فعملية غزو الأرض الطيبة" الجزائر" إذن هي بداية صراع مرير وشرس خاضته وعاشته الأنا المجاهدة الأمر تحت راية الإسلام فدافعت عن دينها ولغتها وثقافتها ووطنها وذاتها لأن الفرنسي جاء ليدمر ويهدم الأنا الجزائرية لا ليبني ويشيد" ،وفي قوله أيضا :"اتفقنا على الحرب دفاعا عن هذه الأرض ،نخوضها والله وحده يعلم النهايات"[2]، وفي قوله فقد أخذ من كل شيء واعتدى على أحد خيرنا بين أمرين إما الرحيل والموت أو التسليم في الأرض"[3]

لقد خاضعت الأنا وقوات المقاومة الجزائرية معارك كثيرة في مدة 15 سنة لكنها استسلمت في إحدى المعارك بسبب الذهنية او العقلية الجزائرية المتخلفة البدائية والنزاعات الداخلية ،مثل خيانة ملك المغرب للأمير وارتداء بعض القبائل التابعة لحكمه.

فالأنا انهزمت واستسلمت ونفيت إلى فرنسا (السجن) فكان حزنا كبير لمغادرتها الأرض ولإنهزامها وخسارتها الحرب، فالمحتل انتصر وتمكن من تمريق القيادات الجزائرية ونجح في تكوين فئة من العملاء أمثال " يوسف" و" مصطفى بن اسماعيل" و" السي العربي" ،ودملر المساجد الإسلامية غير أنه لم يتمكن من تمريق الشعب الجزائري ككل ولم يتمكن من تحطيم عزيمته ، لأن الإسلام أقوى وبعبد كل البعد عن الهزائم ،فاستمر الجزائري عبر صراع مرير ليس له نظير في الضراوة والعنف والقسوة ،حتى انتزعت النا من الآخرالحرية والأرض ونال الإستقلال التام سنة 1962 ولعل المقاطع الروائية الآتية تبين

[1]: نجيب الحمداوي ، مرجع سابق ص 63

[2]:المرجع نفسه ، ص 69.

[3]:محمد راتب الحلاق ، مرجع نفسه ، ص62.

حزن و ألم الأنا بعد استسلامها :" التدمير كان ضربة قاسية في اللحظة التي ندافع بها عن بيتك ومصانعك وناسك...قاسية هي الدنيا"

إذن فلأنا انهزمت والآخر انتصر،لأنه كان أقوى منها بكثير خاصة فيما يخص الوسائل الحربية المدافع فأحبطت وخابت آمال المقابل وتمنوا مستقبلا أفضل للأرض الطيبة (الإستقلال) على أياد تضعها في قلبها وتحفظها في أعينها،حيث قال الأمير بمرارة كبيرة:"لقد شاء الله أن تنتهي هذه الحرب يجب أن نقبل بهذا القدر قاتلنا مدة 15 سنة لإنقاذ شعبنا من غطرسة الغزاة"[1] وفي قول الراوي أيضا:" كلهم قد أصيبو بخيبة كبيرة كانت مرارة تبدو واضحة على عيونهم التي لم تنم الليلة بكامله...الكثير خرج ليتني بعيدا عن الأنظار "

وما إن سقطت دولة الأمير (معسكر) تحت سيطرة قوات الراوي :"كانت الوجوه باردة كوجوه الأموات وهي تودع الأمير في خروجه الأخير بالمجهول وهناك مورست عليه أنواع الإضطهاد والقمع والإستبداد من طرف الاخر، حيث تم حشره كأي سارق أو رهينة.

لم يعامل الامير في فرنسا كقائد حرب ومقاتل كبير فأغلقت عليه في قصر أشبه بالقبر حيث قال الراوي (جون موبي):"شعر مونيسيور بامتغاص كبير قبل أن يدخل إلى الدهليز الضيق المؤدي إلى الحجرات التي يحتجزفيها الأمير وعائلته المليئة برائحة الرطوبة زالعفن الذي يشبه الرائحة التي تخلفها الفئران عندما تعبر مكانا تاركة وراءها شعرها ورائحة بولها القوية التي تدخل خياشيم الأنف" فالنفي بالنسبة له ليس سجنا معلنا، زلا ضيافة واضحة ،ولا كرما فائضا.

وفي ختام هذا المبحث يمكنني القول أن رواية "كتاب الأميرمسالك أبواب الحديد" رواية وتجسد صورتين:

[1]: عبد الملك مرتاض ، مرجع سابق ، ص96.

الصورة الأولى: صورة عدائية للآخر الفرنسي ،مبنية على النبذ والإحتقار والإزدارء.

الأنا مجسدة في شخصية الأمير عبد القادر الجزائري الذي تعرض للقمع والإظطهاد ،والنفي والتعذيب والطرد من الأرض الذي حارب لأجلها مدة طويلة.

الآخر: المستعمر الفرنسي الغاشم الذي اغتصب وسلب وأرض الأنا ،فاظطهد أهلها وشردهم ودمر منازلنا ونكل بأبنائهم وزجا بهم في السجون ومراكز الإعتقال.

الصورة الثانية :هي علاقة الحب زالصداقة والوفاء بين الأنا الجزائرية والآخر الفرنسي .

وهاتان الصورتان تنمان عن رؤية "واسيني الأعرج "للعرب والغرب معا..

- **ثانيا:الفني والإديولوجي:**

الأنا والإنفتاح:

لقد ورد رواية "كتاب الأمير " مشاهد حوارية كثيرة وعديدة توحي بانفتاح النا الجزائريو على الأخر الغربي ،ثقافة وحضارة وعلوم ...إلخ

فلأمير عبد القادر في رواية انفتح وتبنى فكرة الإنفتاح لمسايرة العالم الذي شهد تقدما وتطورا ورقيا أنذاك ،ففتح كل الأبواب أمام حضارة وثقافة وعلوم الأخر المستعمر حيث قرأ الكثير من الكتب الفرنسية وقرأ الإنجيل و يبرز ،أو يظهر هذا في قول "الأمير" محاورا"مونسيور"بدأت أقراء كتابكم الإنجيل لكن هذه المرة أنا مصمم على قراءته ،فالأمير نادى التقدم والرقي والإزدهار والتطور حتى غن كان على حساب بعض مبادئ والأسس والثوابت الجزائرية فتأثر بالأفكار والمفاهم والتصورات فتفاعلت هذه الأخيرة وانتحلت معارف حقيقية لا وهمية" مصانع البارود الأخضر وتكوين جيش نظامي" فالأمير حاكي الغرب كثيرا من الميدان العسكري ،حيث كان يتمنى لو يملك مدفعا حربيا شبيها لمدافع المستعمر لتكوين ضرباته مفيدة وهذا ما حققه فيما بعد في قوله:"كل ضرباتنا غير مفيدة وآلاتنا ضعيفة ... نحتاج إلى مدافع من عيار أقوى كذلك الذي يمتلكها الفرنسيون"وفي قوله أيضا :"نتمنى أن نستفيد من خبرة الفرنسين لخلق جيش نظامي عتيد" فالأمير يرى بمحاكاتهم وتقليدهم ،يتم بناء دولة قوية يعمها التقدم والرقب والإزدهار وهذا مدخل حقيقي له.

ويتجسد انفتاح "الأمير" أكثرفأكثر خاصة في علاقة بالأخر "مونسينيورديبوش"وأجين دوما" والكاتب واسيني ،فهي علاقة تتم بالتفاهم والتعاون والتبادل أي أنها تتخذ طابعا سلميا بعيد كل البعد عن العنف والحرب فعم السلم والسلام والأمان واطمئنان حياتهم جميعا أي أن الأمير تفتح كليا حتى أصبح لا يرى عدوا له.

والمقطع الروائي الأتي الذي جاء على جاء لسانه يؤكد هذا ،حيث قال متحدثا مع "السي مصطفى"

نحن سجناء وكل ما بنيناه عن فرنسا وأوربا كان جوهره غير صحيح كنا ننظر إلى أنفسنا أننا الوحيدون الذين ينظر الله إلى وجوههم يوم القيامة وأن الجنة حكرا لنا وأن الله ملك للمسلم وكلما نعقل الأمربالأخرين أنزلنا عليهم السخط"[1]

فالأنا كانت تتلقى ،وتأخذ دروسا على يد الأخر "بواسيني" وهذا المعرفة علومهم وافستفادة منها ،ولمعرفة أيضا أسباب قوتهم وتقدمهم وتطورهم والمقطع الروائي التي بين هذا ،حيث قال "الأمير" محاورا"مونسيور"الذي كان موافقا له طيلة الخمس سنوات التي قضاها في المنفى وقد ساعد بواسيني في اطلاع عل ثقافتكم وعلومكم وأصبحت قريبا منكم لقد كان أستاذي الفاضل وتحمل ثقل طالب مسن ومشي معه خطوة خطوة.

وفي قوله محاورا بواسيني وجودك أعطاني رغبة كبيرة ليس فقط فالحياة ولكن كذلك قي التعلم كنت قليلا من الفلسفة اليونانية كنت أعرف قليلامن الفلسفة اليونانية سقوط ،أفلاطون وخصوصا أرسطو... ولكن اكتشافي لديكارت قريب من هذه الأر ض"[2]

كما أن "الأمير عبد القادر" كانت تربطه علاقة قوية ومتينه" باين دوران اليهود" حيث كان يستشيره في كل كبيرة وصغيرة فيما يخص أمور الحرب ،بل كان همزة وصل بينه وبين الفرنسيين "فاين داوران" كان ملخصا للأمير ولم يخته يوما في قوله الأمير عنه:

"ابن دوران " معرفة قديمة بالنسبة لوالدي بينهما علاقة كبيره فقد منحناه كل الصلاحيات كان حلقه وهل بيننا وبين الفرنسيين لا لم تر منه ما يؤذينا ،أما كونه يهودي فقد وجدنا الخير أحيانا في اليهود والمسحيين أكثر مما وجدناه في اخواننا"[1].

---

[1]:واسيني الأعرج ، مرجع سابق، ص38

[2]: عبد المجيد حنون ،صورة الفرنسي في الرواية المغربية ،ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر،ط1 ،1986، ص132.

فالأميرفي هذا المقطع جسد الإنفتاح على الأخر ،بغض النظر على دينه ولغته واستفاد من خبرتهم في مجال صنع البارود الأحمر فتمكن من بناء مصنع كبير له.

وفي قول الراوي: قبل أن ينتهي المير من كلامه كان الأغا... قد وصل خيالته انزلق بسرعة نحو خيمة الأمير الذي كان في حوار مع خبيرية الإيطاليين في الأسلحة الثقيلة والمدفعية.

وفي قول الراوي:" إن عمليات تحسين البارود كانت قد بدأت بمساعدة الخبراء والإطاليين والألمان الذين كانو قد وضعوا انفسهم في خدمة المصانع الأميرية"[2].

فالأمير متعامل مع الفرنسيين في المجال العسكري ،لأنهم الأقوى في هذا المجال أنذاك ،فحاول أن يقلد مظاهر الحضارة الغربية بكل حذافرها لكنه لم يستطع بسبب الذهنية الجزائرية المتخلفة التب لا تزال تؤمن بالأساطير.

فالإنفتاح والإحتكار باللآخر لغريب يولد ،أو ينتج التقدم والتطور ،والرقي فلو انغلق الأمير على ذاته وموروثه وعلمه وحضارته لأدى به هذا إلى الجمود والتحجر والموتو العناء ،أي أنه يبقى قابع في دار التخلف والبدائية والجاهلية.

إذن فالأمير انفتح لأجل هدف واحد ألا وهو إلحاق الشعب والدولة الجزائرية بلأمم الأخرى التي بلغت ذروتها في التقدم والإزدهار ،ويبين في هذا المقطع الروائي الأتي فيقول: "وقد دعونا الكثير من الأروربيين للمجيء للإستقرار والعمل في بلدنا وسمحنا لهم حتى بالتملك ،نربد أن نستفيد منهم ومن خبرنهم وأن نبنب هذه البلاد على أسس صحيحة وقارة تطمح من هذه الحضارة أن توقظ هذا الشعب النائم على الكذب ، ويقصد الأمير بعبارة الشعب النائم هنا أن الشعب الجزائري شعب لا يحرك ساكنا ولا يلهث وراء التقدم

---

[1]:المصدر نفسه، ص86

[2]: رابح تركي ،التعليم القومي والشخصية الجزائرية باللغة الفرنسية، دار الغرب للنشر والتوزيع ،وهران الجزائر 2004م، ص25.

والرقي ، فهو في نظره أنهم متحضرون ومتقدمون بما فيه الكفاية ،شعب له ثقة عالية بالنفس وهذا ما أدى به الغرور ، ومن ثمة إلى الإنهزام والإستسلام.

لكن الإنفتاح الكلي يؤدي على الإنسلاخ عن الهوية والإنقلاب من المبادئ والأسس والقيم والثوابت وبالتالي الذوبان والإنصهار في حضارة الأخر ،وهذا ما جسدته الرواية من خلال المرقدين والخونة الذين اتبعوا فرنسا أمثال "يوسف وسي اسماعيل ومصطفى وسلطان المغرب"

الأمير الأنا والإنغلاق:

أن رواية " الأمير " مسالك أبواب الحديد للروائي واسيني الأعرج استطاعت أن تجسد و تصور لنا انغلاق الأنا على الآخر ،فدعت إلى غلق جميع المناقد والأبواب أمامه لأنه الشر الضار والإحتلال والإستبداد والقمع والظلم ،حيث منع والد" الأمير" التعامل مع الفرنسيين واعتبر أي نوع من هذا هو خيانة للدين والعرض و الوطن ،فأقبل هذا الأحير على إعدام وشنق القاضي أرزيو وأستاذ الأمير أحمد بن طاهر لأنه تعامل معهم حيث قال " محي الدين " أحمد بن طاهر الذي باع دينه وعرضه ووطنه للكفار وتعامل النصرانيين الغداة المشنقة الله أكبر الله أكبر"[1].

فمحي الدين قام بمحاكمة الخائن "أحمد بن طاهر على الرغم من أنه ارتكب هذا الجرم تحت ضغط السلطات الفرنسية الأخر.

فقال القاضي أرزيو مدافعا عن نفسه:

[1]: رابح تركي ،مرجع سابق ،ص76.

"تحاكمونني على جرم ارتكبه تحت تحت ضغط عسكري فرنسي ،وكنت مكرها وأنا أكفر عن ديني بطلب الصفح" [1]،لكن "محي الدين" لم يقبل أعذاره وأسبابه وأعدمه ، حيث جاء في المقطع الروائي الأتي ما يدل على هذا :" لقد حذرناه وطلبناك ولكنك تماديت ،أنت تعرف أننا متعنا التعامل مع الفرنسيين وحرمنا بيع المواشي والبغال والخيول و التبن والعلف لهم[2].

فالأنا أعلنت الإنغلاق والقطيعة مع الآخر وهو قرار ناجم وناتج من تجربتها مع الإستعمار،أي أنه نتيجة للخوف والرعب والهزيمة ،وأيضا للحفاظ على الدين والحضارة والثقافة والهوية ... لأنه في نظرها مصدر البلاء والخراب ويسعى دوما لسحقها ومحوها وهدمها.

"فالأمير عبد القادر" رفض الإنفتاح على الأخر وعاد إلى الموروث العربي ليستمد القوة منه وليقتدي به و يسير على منواله ،حيث قرأ كتب "إبن خلدون "ورسالة الإمام القيرواني" في الفقه و كتاب الشفاء ومصنفات "البخاري" فيقول الراوي:"الكتب التي كانت يفتح بها الأمير جلساته العلمية في أمبواز أمام ذويه ومرافقيه الصغرى في علم الكلام للسنوسي و رسالة الإمام إبن آل زيد القيرواني في الفقه و مصنفات البخاري وكتاب الشفاء للإمام عياض .

وهذا المقطع يدل على أن الأمير ينطلق من ذاته ليؤكد استقلالية الفكر العربي والهوية القومية والواحدة التكاملية "فالأمير" رفض التسول الثقافي والمعرفي والتبعية العمياء للغرب فراح بنهل ويستفيد من تراث الذي تركه القدماء ،أي أنه أنغلق ورفض الإستهلاك والإستراد من الغرب لنه يرى أن الذات العربية لها موروث ثقافي حضاري علمي زاخر لابد من

---

[1]: أحمد ياسين سليماني، التجليات الفنية لعلاقة النا بالآخر في الشعر العربي المعاصر دار الزمان،دمشق ،سوريا،ص45.
[2]:المرجع نفسه ، ص

العودة إليه ودليل هذا في الرواية هو رفض " الأمير" مصاحبة رئيس فرنسا"لويس نابيليون"إلى دار الأوبرا لأنه لا يريد الإطلاع على الثقافة الفرنسية فيقول "بواسيني" :"هل يريد سيدي الأمير أن يرتاح أم يريد أن يحضر سهرة اليوم في دار الأوبرا؟ ربما سمح لك ذلك باكتشاف جزء من ثقافتنا.

وجد الأمير مسلك مناسب لتفادي حضور الدعوة بأدب والبقاء مدة أطول مع ضيفه "بواسيني إلى الأمير:" ربما يتم التفكير لقيادتك إلى بارس لإكتشاف حضارتنا وقوتنا كما فعل ابراهيم باشا رأى باريس وغيرها من أنصار فرنسا متنزها له يمرح فيه كيف شاء ،أما أنا فلا أرى فرنسا الأن إلا سجنا ولمن معي "[1].

إذن فالأمير الأنا انعلق وتوقع على ذاته وموروثه :لا يسعى إلى الإطلاع على ثقافته الآخر الفرنسي لأنه بالنسبة له المستبد الظالم السجناء القامع المحتل الغاشم.

ومن الشخصيات الروائية التي جسدت ،وصورة لنا الإنغلاق و رفض الآخر بشكل قاطع وبارز ،المحارب والمناضل والمكافح "السي مصطفى" الذي تم نقيه رفقة " الأمير" إلى فرنسا ويتجسد هذا عندما تملكه غضب شديد من الأمير عبد القادر"الذي زار الرئيس " نابليون"وتحول رفقته في باريس حيث قال وعلامات الغضب بادية على وجهه:أليس من حقنا أن نرفض.

نحك كذلك مس أيدي مك أحرقوا الناس أحياء في حبال الظاهرة وغيرها وقطعوا وغيره[2].

"فالسي مصطفى" انغلاقه هذا هو نتيجة لإنهزامه في معارك وحروب عديده فتملكة هذا هو نتيجة لإنهزامه في معارك وحروب عديدة فتملكه الخوف والرعب من الأخر ،فهو لا

[1]:عبد الإله بلقزيز العرب والحداثة ،مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت، لبنان ،ط1، 2007.
[2]: واسيني الأعرج ، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر ،المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1986م. ،ص69.

يرد أي علاقه تربطه بهم لأنهم ارتكبو مجازر في حق الشعب الجزائري البريئ الذي سلبت ونهبت منه أرضه.

إذن فالانا انغلقت ورفضت الآخر لأنه يسعى ألى فرض هيمنته و سيطرتهولإستلاء الكلي والنهائي للجزائرفدافعت القابئل بانتمائهعن وطنها لكنها فشلت بسبب ضعف عتاده الحربي ،حيث جاء على لسان الأمير:" لقد شاء الله أن تنتهي هذه الحرب يجب أن نقبل بهذا القدر،قاتلنا 15 سنة لإنقاذ شعبنا منغطرسة الغزات.

فانغلاق الأنا على الآخروخوضها حروب عديدة لتحريرأرضها يدل على وعييها وإدراكه للآخرالمختلف عنها دينيا ولغويا وحضاريا وثقافيا وعقائديا يسعى إلى طمسها ومحوها ، وبالتالي محو كل ثوابتها وأسسها من دين إسلامي ،لغة عربية ،وهوية وثقافية وحضارة عربية واسلامية ويبدوهذا بارزا في قول الأمير:" الهدف كان واضحا إبادتنا ذهنيا بآلة فتاكة لأن الفرنسي لا يحبذ أن يرى نظام عربي قوي ،فهدفه دائما هو تشتت وتمزيق العرب ،والمقطع الروائي الآتي الذي جاء على لسان الأمير يؤكد هذا: "الغرب لا يريدون حكماء عربيا قويا وموحدا.

لنستنتج أن الأمير انفتح وانخرط في مواضع وانغلق ورفض التعامل مع الآخر الفرنسي في مواضع.

فالأمير قدم على فعل الأول {الإنفتاح} ليواكب العصر أنذاك وليلتحق بالركب الحضاري فأخد خبر أوربا أي ثقافتها وعلومها من الطب والفلسفه والهندسة ،الفلك ،وأقدم على الفعل الثاني ليتعدى لشرها وطفيلتها {فرنسا} فهي المستعمر ،الوحشي والمدمر وخوفا منه أن يزعزع ثوابته وأسسه ومبادئه ،ومنطلقاته {الأمير الشعب الجزائري}.

من خلال دراستي إشكالية الأنا والآخر في الرواية الجزائرية في رواية كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد"

لقد استطاع واسيني الأعرج أن يتجاوز ثنائية الأنا والآخر فنظر إلى الآخر نظرة إيجابية ’قائمة على التسامح والحوار الحضاري والسلم والتعايش فيما بينها والتي تدعو إلى الإنفتاح على الآخر والإستفادة من خبرته وعلومه وحضارته وهذا لبناء دولة قوية شبيهة لدولتهم .

استطاع الروائي أن يبين نقاط قوة الأخر ونقاط ضعف الأنا فاعتبر هذا الأخير "الضعف والتخلف" ليس إلا نتيجة للعقلية والذهنية الجزائرية المتحجرة والمتخلفة والبدائية التي تحكمها العصبية القبلية.

استطاع "واسيني" أن يصور انفتاح الأنا على الآخر وعدم تعصبها لدينها وعرقها وجنسها، لكن بين في الوقت نفسه في مقاطع روائية قليلة انغلاقا فهو بالنسبة لها عدوا لدودا شيطانا لا يعرف الرحمة سبب البلاء والخراب الذي حل بالأرض احتلال الجزائر ونهب ثرواتها.

كما استطاع الروائي أن يمرر رسالة من خلال متنه هذا وتتمثل في الأخلاق الغربية العالية ،فشيد ونوه بأخلاق الآخر،في حين نقد الأخلاق العربية نقد لاذعا.

كما استطاعت رواية" كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد" أن تجيب عن أسئلة عالقة في ذهن كل جزائري ،من بينها سؤال الهوية والإنتماء والرواية ككل تنطوي تحت هذين العنصرين.

كما استطاعت الرواية أن تكشف عن المضمر،وتجيب عن السكوت عنه حياة الأمير ،وعلاقته مع الآخر القس مونيسيور ديبوش طيلة أيام المنفى.

رواية الأمير هي رواية الهوية والإنتماء الجزائري تبين كيفية بناء الدولة الجزائرية الحديثة من الأمير عبد القادر لأبناء هذا الجيل أو العصر

كما استطاع الروائي أن يبين نضال ومقاومة الأنا للآخر لنيل الحرية والإستقلال التام,

كما استطاعت رواية الأمير أن تجسد انبهارواندهاس الأنا بالآخر وما حققه أو ما وصل إليه من تقدم وازدهار ورقي في المجال العلمي والعسكري.

إضافة إلى أنها صورة للإضطهاد والقمع والإستقلال الذي سلطه الآخر على الأنا ،وهذا ما تعرض له الأمير عبد القادر في المنفى الفرنسي "قصر أمبواز وقصر هنري الرابع".

قائمة المصادر والمرجع

المصادر والمراجع

- باديس فوغالي، جدلية الشرق والغرب في الرواية العربية، مجلة الأدب والعلوم الإنسانية، العدد الثامن جوان2007، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة – الجزائر-،ص8.
- أحمد البيوري في الرواية العربية التكوين والأشتغال، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء،ط2000،1
- أحمد منور،الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، ديوان المطبوعات الجامعية 2007
- آسيا جبار ،القلقون، منذر الجابري منشورات دار الإتحاد ، بيروت لبنان
- أم الخير جبور، الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية دراسة سوسيو النقدية ، الملحق
- أمبن زاوي، صورة المثقف في الرواية المغاربية، دار النشر الرجعي، الجزائر، ط2 ، 2009
- باديس فوغالي ،جدليو الشرق والغرب في الرواية العربية ،مجلة الدب والعلوم الإنسانية ،العدد الثامن
- جان نعوم طنوس,صورة الغرب في الأدب العربي المعاصر، دار المنهل اللبناني، مكتبة رأس النبغ بيروت، ط1، 2009
- جميل حمداوي ،صور جدلية الأنا والآخر في الخطاب الروائي http//www.elana.elakhare.com، 01 -2015-01 ، 12:30.

- حنفاوي بعلي ،أثر الأدب الأمريكي في الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية ،دار الغرب للنشر والتوزيع ،وهران الجزائر ،2004

- سعاد محمد خيضر، الأدب الجزائري المعاصر ،المكتبة العصرية ،صيد ا بيروت ،1967،
- صادق قسومة، نشأة الجنس الروائي بالمشرق العربي
- عبد الله ركيبي القصة الجزائرية القصيرة، دار الكتاب العربي ،الجزائر 2009
- عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية ، منشورات إتحاد الكتاب الغرب، دمشق، سوريا.
- عيادة أديب بامية ،تطور الأدب القصصي الجزائري، ترجمة محمد صقر ،ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ،1982
- كاتب ياسين نجمة تجربة لا أستطيع تكرارها " ـ مجلة الوطن العربي
- محمد الأمين ، بنية الخطاب المأساوي في رواية التسعينات الجزائرية ، رسالة الدكتوراه ، جامعة باتنة السنة الجامعية 2008 -2009
- محمد الطهار ،تاريخ الأدب الجزائري ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر
- محمود قاسم ،الأدب العربي المكتوب بالفرنسية الهيئة الممرية العامة للكتاب مصر 1996
- واسيني الأعرج ،اتجاهات الرواية العربية في الجزائر ،المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائرية ،1986

- يمان الصالح ، جدلية العلاقة بين الشرق والغرب وهاجس الخوف المتبادل مقال في الأنترنت ضمن موقع http//www .puplct.alwatam.com 12:18 ، 2015-01-17م

الفهرس

الفهرس

الملحق

الملحق

واسيني الأعرج ولد في 08 أغسطس 1954 بقرية سيددي بوجنان الحدودية ـ تلمسان ـ جامعي وروائي جزائري يشغل اليوم منصب أستاذ في جامعة الجزائر المركزية وجامعة السوربون في باريس.

يعتبر أحد أهم الأصوات الروائية في الوطن العربي على خلاف الجيل التأسيسي الذي سبقه تنتمي، تنتمي اعمال واسيني الذي يكتب باللغتين العربية والفرنسية ، إلى المدرسة الجديدة التي لا تستقر على شكل واحد وثابت ، بل تبحث دائما عن سبلها التعبيرية الجديدة والحية بالعمل الجاد على اللغة وهز يقينياتها.

أهم أعماله الأدبية :

- رواية البوابة الزرقاء سنة 1980

- رواية طوق الياسمين سنة 2002

- رواية ما تبقى من سيرة لخضر حمروش

- رواية الليلة السابعة بعد الألف سنة 2002

- رواية رماد الشرق سنة2013

ملخص

الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية وعلى غرار الروايات العربية إهتمت بتجسيد صورة الأنا والأخر وذلك نظرا لأهمية هذا الموضوع في تحديد العلاقات القائمة بين الأنا والآخر مهما كانت صفات هذا الآخر .

وتأتي هذه الدراسة بعنوان" الأنا والآخر الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية " وكانت رواية "كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد للروائي " واسيني الأعرج " أنموذجا تطبيقيا لهذه الدراسة ،فالروائي صور لنا الإنفتاح والإنبهار الأنا الجزائرية على الأخر الفرنسي هي رواية التسامح والتعايش والحوار الحضاري بينهما .